Journal Of the Iraqia University (76-7) September (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مسارات تلقي البردتين بردة كعب وبردة البوصيري في التراث العربي
من الخبر المؤسس إلى المرجعية العلمية

أ.د. عبد الله عمر الحاج إبراهيم
أستاذ في قسم الدراسات الإسلامية والعربية
كلية الدراسات العامة في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - السعودية
د. أديم ناصر حسين الأنصاري
أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية والعربية
كلية الدراسات العامة في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - السعودية

Reception Trajectories of the Two Burdas: Kaʿb's Burda and al-Būṣīrī's Burda in the Arabic Heritage
From the Foundational Narrative to Scholarly Authority

Abdullah Omar Al-Haj Ibraheem*
Department of Islamic and Arabic Studies, College of General Studies
King Fahd University of Petroleum and Minerals, Saudi Arabia
Email: ahajj@kfupm.edu.sa
Professor of Arabic Linguistics
PhD in Arabic Grammar and Morphology, Umm al-Qura University
ORCID: 0009-0008-8572-6033
Adeem Nasser Hussain Al-Ansari
Department of Islamic and Arabic Studies, College of General Studies
King Fahd University of Petroleum and Minerals, Saudi Arabia
Email: Adeem.ansari@kfupm.edu.sa
Assistant Professor
PhD in Arabic Literature, King Saud University
ORCID: 0001-2701-5929
***Corresponding author**

الملخص

يدرس هذا البحث مسارات تلقي بردتي كعب بن زهير والبوصيري من الخبر المؤسس إلى تكوّن المرجعية العلمية، مركزًا على الرواية والشرح والتعليم والاستشهاد. ويعتمد منهجًا تاريخيًا مقارنًا يميز بين مراتب الأخبار ووظائف أوعية التلقي، ويستفيد من التحليل النصي والحصر الببليوغرافي للشروح والأعمال المتصلة بالقصيدتين. وتبين الدراسة أن اشتراكهما في اسم «البردة» ومدح النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتج مسارًا واحدًا؛ فقد تأسست سلطة «بانت سعاد» على خبر سيري يروي قدوم كعب وإسلامه وإنشاد القصيدة، بينما ارتبطت بردة البوصيري في الرواية الشائعة بالمرض والرؤيا والشفاء، مع ثبوت شهرتها والاستشفاء بها في شهادة الأدفوي من غير ذكر قصة الرؤيا. كما تكشف المقارنة أن شروح «بانت سعاد» أبرزت الرواية

واللغة والنحو والصرف والشواهد، في حين جمعت شروح البوصيري بين اللغة والإعراب والبلاغة والسيرة والعقيدة والتصوف، وتفرعت عنها اختصارات وحواشٍ وتقريرات. وبرز تحول أبيات «بانت سعاد» إلى شواهد مستقلة في علوم العربية، بينما ظهرت بردة البوصيري بدرجة أوضح متنًا متتابعًا للشرح والإجازة والإقراء. ويخلص البحث إلى أن المرجعية العلمية للقصيدتين لم تكن خاصية ثابتة فيهما، بل نتجت من تفاعل الخبر والنص والمؤسسات العلمية والقراء؛ فغلبت على «بانت سعاد» سلطة سيرية لغوية شاهدية، وعلى بردة البوصيري سلطة شارحة تعليمية دينية، مع تداخل الوظائف بين التقليدين.الكلمات المفتاحية :بانت سعاد؛ كعب بن زهير ؛ بردة البوصيري؛ التلقي؛ الخبر المؤسس؛ الشروح؛ المرجعية العلمية

Abstract

This study examines the reception of the two Burda poems by Kaʿb ibn Zuhayr and al-Būṣīrī, tracing their development from foundational narratives into forms of scholarly authority. It focuses on transmission, commentary, teaching, and scholarly citation through a comparative historical method that distinguishes between the evidentiary status of narratives and the functions of different vehicles of reception. It also draws on textual analysis and bibliographical surveys of the commentaries and related works. The study demonstrates that the poems' shared designation as al-Burda and their praise of the Prophet did not produce a single reception history. The authority of Kaʿb's Bānat Suʿād was grounded in the sīra narrative of his arrival, conversion to Islam, and recitation before the Prophet. Al-Būṣīrī's Burda, by contrast, became associated with illness, a dream vision, and healing, although al-Udfuwī's relatively early account attests to the poem's fame and healing use without mentioning the dream narrative. The comparison further shows that commentaries on Bānat Suʿād foregrounded textual transmission, lexicon, grammar, morphology, and poetic evidence, whereas commentaries on al-Būṣīrī's Burda combined linguistic and rhetorical analysis with sīra, theology, and Sufi interpretation, generating abridgments, glosses, and supercommentaries. Verses from Bānat Suʿād developed a particularly strong presence as independent proof-texts in the Arabic linguistic disciplines, while al-Būṣīrī's Burda functioned more prominently as a continuous text for commentary, authorization, and instruction. The study concludes that the scholarly authority of the two poems was historically produced through the interaction of narrative, text, institutions, and readers: Bānat Suʿād acquired a predominantly sīra-based, linguistic, and evidentiary authority, whereas al-Būṣīrī's Burda acquired a predominantly commentarial, pedagogical, and religious authority, without excluding areas of overlap.Keywords: Bānat Suʿād; Kaʿb ibn Zuhayr; al-Būṣīrī's Burda; reception; foundational narrative; commentary; scholarly authority.

المقدمة

حظيت قصيدتا كعب بن زهير والبوصيري بمكانة واسعة في التراث العربي والإسلامي، واشتهرت كل منهما باسم «البردة»، واقترنت بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تجاوزتا حدود المناسبة التي نشأتا فيها إلى مجالات متعددة من الرواية والشرح والتعليم والحفظ والإقراء. غير أن الاشتراك في الاسم والموضوع لم يؤد إلى تماثل مساريهما؛ فقد ارتبطت «بانت سعاد» بخبر قدوم كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإعلانه الإسلام وإنشاده القصيدة معتذرًا ومادحًا، بينما ارتبطت بردة البوصيري في الرواية الشائعة بمرض ناظمها ونظمه القصيدة واستشفائه بها، ثم رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم في المنام.١ وقد أسهم الخبر المحيط بكل قصيدة في تشكيل صورتها لدى المتلقين، لكنه لم يكن العامل الوحيد في استمرارها. فقد دخلت «بانت سعاد» مبكرًا في كتب السيرة والتراجم والأدب، وتحولت أبياتها إلى شواهد في علوم العربية، ثم نشأ حولها تقليد شارح امتد عبر القرون. أما بردة البوصيري فانتقلت بالإجازة والسماع، وحفظها أهل العلم والأدب، وظهرت حولها شروح وحواشٍ واختصارات جمعت بين اللغة والإعراب والبلاغة والسيرة والعقيدة والتصوف. وبذلك انتقلت القصيدتان من الخبر الذي يروي مناسبة الإنشاد إلى مؤسسات علمية أعادت تفسيرهما وتثبيت منزلتهما.٢ولا تقصد هذه الدراسة الموازنة الفنية بين القصيدتين، أو المفاضلة بين أسلوبيهما وصورهما، كما لا تقدم حصرًا جديدًا لجميع شروحهما. وإنما تدرس مرحلة محددة من تاريخ تلقيهما تبدأ بالخبر المؤسس، ثم تتبع انتقالهما إلى الرواية والشرح والتعليم والاستشهاد. ويتمثل موضوعها في الكيفية التي تحولت بها الصلة المروية بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى أشكال من المرجعية العلمية، وفي الأدوار التي أدتها كتب السيرة والتراجم والشروح ومجالس الإقراء وعلوم العربية في هذا التحول.وتتبع إشكالية البحث من أن شهرة القصيدتين وكثرة الأعمال المصنفة حولهما لا تفسران، في ذاتهما، طبيعة السلطة التي اكتسبتها كل واحدة منهما. فقد تتشابه الظواهر في ظاهرها، فيقال إن القصيدتين رويتا وشُرحتا ودخلتا التعليم، لكن وظيفة الرواية أو الشرح لا تكون واحدة بالضرورة. فخبر «بانت سعاد» ينتمي في مركزه إلى كتابة السيرة وإثبات إسلام كعب واعتذاره، بينما ينتمي خبر البوصيري إلى مجال الرؤيا والكرامة والشفاء. وكذلك يبرز في شرح القصيدة الكعبية توثيق الرواية واللغة والنحو والشاهد، في حين تتسع شروح البردة لتشمل، إلى جانب ذلك، السيرة والعقيدة والتصوف.ومن هنا يسأل البحث: كيف أسهم اختلاف الخبر المؤسس للقصيدتين في توجيه تلقيهما العلمي؟ وكيف نقلتهما

الرواية والشرح والتعليم من مناسبة الإنشاد إلى المرجعية؟ وما أوجه الاتفاق والاختلاف بين تقليديهما في توثيق النص وشرح ألفاظه وتراكيبه وتداوله بالإقراء والاستشهاد؟ ولماذا برز تحول أبيات «بانت سعاد» إلى شواهد مستقلة في علوم العربية، بينما برزت بردة البوصيري بوصفها متنًا متتابعًا للشرح والإجازة والحفظ؟وينطلق البحث من أن الخبر المؤسس ليس مقدمة خارجية للنص، بل عنصر فاعل في تحديد الأسئلة التي يوجهها المتلقون إليه والوظائف التي يسندونها إليه. فقد منح خبر اللقاء والاعتذار «بانت سعاد» سلطة سيرية، ثم عززتها قدم الرواية والاستشهاد بأبياتها والشروح التي حفظت اختلاف ألفاظها وناقشت لغتها وإعرابها. ومنحت رواية الرؤيا والشفاء بردة البوصيري سلطة وجدانية ودينية، لكن انتقالها بالإجازة وقيام تقليد واسع من الشروح عليها أدخلاها كذلك في مجال المرجعية العلمية والتعليمية.ولا يعني هذا الفصل بين القصيدتين فصلًا مطلقًا؛ فقد اجتمع فيهما الخبر والشرح والتعليم، وحضرت اللغة والسيرة في تقليديهما بدرجات مختلفة. والمقصود تحديد مراكز الثقل، لا نفي الوظائف المشتركة. فسلطة «بانت سعاد» تبدو سيرية ولغوية وشاهدية في مركزها، بينما تبدو سلطة بردة البوصيري شارحة وتعليمية ودينية، من غير أن تخلو الأولى من الوظيفة الدينية أو تخلو الثانية من التحليل اللغوي والنحوي.وتتمثل إضافة البحث، في حدود ما وقفنا عليه، في جمعه بين دراسة الخبر المؤسس ودراسة الشرح والتعليم داخل إطار مقارن. فقد تناولت الدراسات السابقة أخبار القصيدتين وشروحهما منفصلة، واتجه بعضها إلى تحقيق شرح بعينه أو دراسة منهجه، بينما عنيت دراسات أخرى بحصر الشروح والمخطوطات. وتفيد الدراسة الحالية من هذه الجهود ومن الحصر الببليوغرافي السابق، لكنها لا تجعل الحصر غايتها؛ إذ تنتقل من تعداد الأعمال إلى تحليل العلاقات التي تجمع الرواية والشرح والإقراء والاستشهاد، وما تكشف عنه هذه العلاقات من اختلاف في تكوين المرجعية.٣ويعتمد البحث منهجًا تاريخيًا مقارنًا، يرتب الشواهد بحسب طبقاتها الزمنية، ويميز بين الخبر السيري والخبر القائم على الكرامة والرؤيا، وبين شهرة الرواية وثبوتها، وبين نقل القصيدة كاملة واقتطاع بيت منها للاستشهاد. كما يستفيد من التحليل النصي في مقارنة وظائف الشروح، ومن العمل الببليوغرافي في تتبع انتقال النصوص وتراكم الأعمال المحيطة بها.ولا يسوي البحث بين جميع المصادر في مرتبة الاستدلال؛ فالمصدر القريب من عصر الشاعر ليس كالمصدر المتأخر، وسكوت أحد المصادر عن خبر لا يحول منفردًا إلى دليل على نفيه. كما لا يعتمد عدد الشروح معيارًا مباشرًا للمفاضلة، بسبب اختلاف مناهج الحصر، وتكرر العناوين، وتعدد نسخ العمل الواحد، واضطراب نسبة بعض الشروح. ولذلك يختار البحث نماذج تمثل الظواهر الرئيسة، ثم يحلل وظائفها بدل تحويل الدراسة إلى قائمة من الأسماء.وتتحدد الدراسة موضوعيًا في ثلاثة مسارات متصلة: الخبر والرواية، والشرح وتراكمه، والتعليم والاستشهاد. ولا تتناول بالتفصيل الأداء التعبدي والمعارضة والتخميس والترجمة والانتشار الجغرافي؛ لأن هذه المسارات تحتاج إلى دراسة مستقلة. وتمتد زمنيًا من الأخبار المبكرة المتصلة بكل قصيدة إلى أبرز طبقات الشروح والتعليم، مع استحضار الدراسات الحديثة حين تكون ضرورية لبيان تاريخ النص أو تقويم الروايات والأعمال المنسوبة.وقد انتظمت الدراسة في تمهيد وثلاثة مباحث. يعرّف التمهيد بالقصيدتين، ويحدد المقصود بالتلقي والمرجعية العلمية، ويبين أن اشتراكهما في اسم «البردة» لا يقتضي وحدة تاريخهما. ويتناول المبحث الأول الخبر المؤسس وصناعة القرب النبوي، من خلال دراسة خبر قدوم كعب وإسلامه وإنشاده «بانت سعاد»، ثم روايات مرض البوصيري ورؤياه وشفائه، والمقارنة بين مرتبة الخبرين وأثرهما في تكوين السلطة. أما المبحث الثاني فيدرس الشرح والتعليم، فيتتبع نشأة الشروح وتنوع وظائفها، وتراكم الاختصارات والحواشي والأقوال، ثم انتقال القصيدتين بالإقراء والحفظ والاستشهاد .أما المبحث الثالث فيجمع نتائج المبحثين السابقين في إطار تركيبي، ويبين انتقال القصيدتين من الخبر المؤسس إلى المرجعية العلمية، من خلال السلطة السيرية وتوثيق النص، والسلطة اللغوية والشاهدية، والسلطة الشارحة والتعليمية، ثم يقارن أوجه الاتفاق والاختلاف في تكوين مرجعيتهما.وبهذا تسعى الدراسة إلى بيان أن المرجعية العلمية للقصيدتين لم تكن صفة ثابتة فيهما منذ لحظة الإنشاء، وإنما تكونت تاريخيًا بفعل الرواية والشرح والتعليم. فقد حفظت المؤسسات العلمية النصين، لكنها لم تنقلهما كما هما فحسب؛ بل اختارت من أخبارهما، وضبطت رواياتهما، وأعادت تنظيم معانيهما، ومنحت أبياتهما وظائف جديدة. ومن خلال هذه العملية نشأ حول كل بردة تقليد خاص، يلتقي بالآخر في بعض أدواته ويختلف عنه في ترتيب مراكز سلطته.

التمهيد: من الخبر المؤسس إلى المرجعية العلمية

تنتسب قصيدتا كعب بن زهير والبوصيري إلى مرحلتين متباعدتين من تاريخ المديح النبوي. فقد أنشد كعب قصيدته في صدر الإسلام، في سياق امتزج فيه طلب الأمان بإعلان الإسلام والاعتذار ومدح النبي صلى الله عليه وسلم. أما البوصيري فنظم بردته في القرن السابع الهجري، بعد أن أصبح المديح النبوي غرضًا واسعًا له موضوعاته وتقاليده، واتصل في عدد من البيئات بالسيرة والتصوف ومجالس التعليم والإنشاد.وتعرف قصيدة كعب بمطلعها «بانت سعاد»، كما تسمى «الكعبية» و«قصيدة البردة». وقد تداخلت روايتها مع خبر قائلها؛ فحفظت كتب السيرة قصة قدومه وإسلامه، وأوردت القصيدة أو طائفة من أبياتها داخل الخبر. ثم انتقلت أبياتها إلى كتب اللغة والنحو والتفسير والبلاغة، وأصبحت شواهد تؤدي وظائف علمية مستقلة، في الوقت الذي ظلت فيه القصيدة كاملة متنًا للشروح.٤

أما قصيدة البوصيري فعنوانها «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، وغلب عليها اسم «البردة». وقد أحاطت بها روايات المرض والرؤيا والشفاء، مع اختلاف المصادر في ذكرها وتفاصيلها. وتثبت الشهادات القريبة من عصر ناظمها شهرة القصيدة وقبولها وروايتها بالإجازة، ثم تكاثرت شروحها وحواشيها واختصاراتها، ودخلت في الإقراء والحفظ والتعليم.٥ويقصد بالتلقي في هذه الدراسة مجموع الأعمال التي نُقلت القصيدتان بوساطتها وأعيد تفسيرهما واستعمالهما داخل سياقات جديدة. وتشمل هذه الأعمال الرواية والتوثيق والشرح والإعراب والإقراء والحفظ والاستشهاد. ولا تكون وحدة التحليل مجرد ورود القصيدة في مصدر، بل الوظيفة التي أدتها فيه؛ فذكر الخبر في السيرة يختلف عن شرح البيت، وكلاهما يختلف عن اقتطاعه شاهدًا في مسألة لغوية أو نحوية.أما المرجعية العلمية فهي المنزلة التي يكتسبها النص حين يصبح قابلًا للرواية المنتظمة والشرح والتعليم والاحتجاج، وحين تنشأ حوله أعمال متراكمة يحيل بعضها إلى بعض. ولا تستمد هذه المرجعية من القيمة الشعرية وحدها، بل من تفاعل النص مع الخبر والمؤسسات العلمية والقراء. فقد يسهم خبر النشأة في لفت الانتباه إلى القصيدة، ثم تمنحها الشروح والاستشهادات سلطة تتجاوز مناسبتها الأولى.ويؤدي الشرح دورًا مركزيًا في هذا الانتقال؛ لأنه يجعل القصيدة موضوعًا للقراءة المتتابعة، ويجمع ما يتصل بها من الروايات واللغة والإعراب والمعاني والشواهد. كما يحفظ اختلاف ألفاظها، وينقل أقوال السابقين، ويضيف إليها أسئلة جديدة. وحين تتكاثر الشروح والاختصارات والحواشي لا يعود النص عملًا مفردًا، بل يصبح مركزًا لتقليد من المعرفة المتراكمة.ويشارك التعليم في تثبيت هذه المرجعية؛ فالقصيدة التي تقرأ على الشيخ أو تروى بالإجازة أو تحفظ أبياتها في كتب العلوم تنتقل من قارئ فرد إلى جماعة علمية. وقد اتخذ ذلك في «بانت سعاد» صورة بارزة من الاستشهاد بأبياتها في علوم العربية، بينما اتخذ في بردة البوصيري صورة أوضح من رواية المتن كاملًا وشرحه وإقرائه. وهذا اختلاف في مركز الوظيفة، لا فصل يمنع دخول كل قصيدة في المسار الآخر.ويكشف اشتراك القصيدتين في اسم «البردة» عن صلة رمزية بينهما، لكنه لا يلغي اختلاف الخبر المؤسس وطريق الانتقال إلى المرجعية. ففي التقليد الكعبي يرتبط الاسم بخبر اللقاء والبردة المادية وفق الرواية الشائعة، أما في التقليد البوصيري فيرتبط بالبردة المنامية وقصة الشفاء. ولذلك لا يبدأ البحث من الاسم بوصفه دليلًا على وحدة التقليد، بل بوصفه مدخلًا إلى مقارنة تاريخين مختلفين لصناعة السلطة.وعلى هذا الأساس لا يدرس البحث القصيدتين باعتبارهما نصين ثابتين انتقلا من عصر إلى آخر من غير تغيير، وإنما يدرس الأفعال التي حافظت عليهما وأعادت تحديد موقعهما. فقد أصبحت «بانت سعاد» نصًا سيريًا وشعريًا وشاهديًا ومشروحًا، بينما أصبحت بردة البوصيري متنًا للمديح والشرح والإقراء والتعليم. ومن هذه النقطة يبدأ المبحث الأول بفحص الخبر المؤسس لكل قصيدة، وبيان أثره في الطريق الذي انتقلت به من مناسبة الإنشاد إلى المرجعية العلمية.

المبحث الأول: الخبر المؤسس وصناعة القرب النبوي

لا تنفصل مكانة القصيدتين في تاريخ التلقي عن الخبر الذي أحاط بنشأة كل منهما، فقد ارتبطت «بانت سعاد» بخبر قدوم كعب بن زهير إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإعلانه الإسلام وإنشاد القصيدة بين يديه، كما ارتبطت بردة البوصيري في الرواية الشائعة بمرض ناظمها ونظمه القصيدة واستشفائه بها، ثم رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم في المنام. وقد جعلت الروايتان الصلة بالنبي عنصرًا أساسيًا في التعريف بالقصيدتين وتفسير منزلتهما، لكنهما لا تنتميان إلى مرتبة تاريخية واحدة، ولم تنتجا الوظائف نفسها. فخبر كعب جزء من السيرة التي تروي تحوله من الخوف والمواجهة إلى الإسلام والاعتذار، أما خبر البوصيري فينتمي إلى مجال الرؤيا والكرامة والشفاء، وقد ظهرت تفاصيله وتكاثرت في طبقات من المصادر اللاحقة.٦ولا يراد بالخبر المؤسس في هذا البحث إثبات أن القصيدة لم تكن لتكتسب قيمتها من دونه، بل يقصد به الخبر الذي اختاره التقليد ليشرح مناسبة النص ويصل بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ظل يعاد نقله كلما عرّف مصدر بالقصيدة أو بصاحبها. وقد يكون هذا الخبر قريبًا من زمن النشأة، وقد يتشكل تدريجيًا وتضاف إليه تفاصيل في مراحل لاحقة، لكنه في الحالتين يؤدي وظيفة تتجاوز التعريف بالمناسبة؛ إذ يمنح النص إطارًا لتلقيه، ويوجه القراء إلى أنواع مخصوصة من الاستعمال. ومن هنا تقتضي المقارنة دراسة الخبر في مستويين: مستوى ثبوته وتطوره في المصادر، ومستوى أثره في بناء سلطة القصيدة ووظائفها.

المطلب الأول: حدث القدوم والإسلام والاعتذار في رواية «بانت سعاد»

أولًا: القصيدة في سياق الخوف وطلب الأمان

تضع الروايات السيرية قصيدة «بانت سعاد» في سياق التحول الذي وقع في حياة كعب بن زهير بعد انتشار الإسلام وفتح مكة. فقد كان كعب قد هجا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ثم أصبح مهددًا وخائفًا بعد إسلام أخيه بجير وما بلغه من موقف النبي منه. وتروي السيرة أن بجيراً كتب إليه يحثه على القدوم والتوبة، ويخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم يقبل ممن جاءه مسلمًا، فقدم كعب متخفيًا حتى وصل إلى المدينة، واستجار برجل من جهينة، ثم أتى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ووضع يده في يده قبل أن يعرّفه بنفسه. فلما أمن وأسلم أنشد قصيدته التي مطلعها:٧

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيـم إثـرها لـم يفد مكبول

يؤدي هذا السياق وظيفة أساسية في تلقي القصيدة؛ إذ يجعل إنشادها جزءًا من فعل الاعتذار وإعلان التحول. فالقصيدة، وفق هذه الرواية، لم تلق في مجلس أدبي منفصل، وإنما أنشدت في لحظة تتصل بمصير قائلها وانتقاله من حال العداوة والخوف إلى الإسلام والأمان. ولهذا اكتسب المديح فيها معنى يتجاوز الثناء الشعري؛ إذ أصبح وسيلة لإظهار الموقف الجديد وطلب الصفح، وصار الإنشاد نفسه خاتمة لمسار سردي يبدأ بالهجاء والتهديد، ويمر بالخوف والقدوم، وينتهي بالقبول والإسلام.وقد حفظ ابن هشام هذا الخبر في «السيرة النبوية»، وأورد القصيدة في سياقه، فكان إدخالها في كتاب السيرة من أقدم العوامل التي ربطت النص بحياة النبي صلى الله عليه وسلم. كما أورد ابن سلام الجمحي خبر كعب وأبياتًا من القصيدة في ترجمته ضمن «طبقات فحول الشعراء». ويدل ورودها في هذين النوعين من المصادر على ازدواج مبكر في تلقيها؛ فهي من جهة جزء من خبر السيرة، ومن جهة أخرى نص لشاعر يحتل موضعًا في طبقات الشعراء. وبذلك اجتمع لها منذ وقت مبكر سندان من السلطة: سلطة الحدث النبوي المروي، وسلطة الانتماء إلى الشعر العربي المحتج به.٨ولا يلزم من هذا أن تفاصيل الخبر اتفقت عليها جميع المصادر؛ فقد ظهرت روايات مختلفة في بعض جزئياته، ومنها مكان اللقاء والإنشاد وبعض الأشخاص المتصلين به. وأورد الفاكهي في «أخبار مكة» رواية تصل إنشاد القصيدة بمكة، على خلاف الرواية الأشهر التي تجعله في المدينة. ولا يهدم هذا الاختلاف أصل الصلة بين القصيدة وخبر قدوم كعب وإسلامه، لكنه ينبه إلى أن الرواية لم تنتقل في صورة واحدة مغلقة، وأن بعض عناصرها ظل قابلًا للتغيير بحسب طرق النقل وأوعية التدوين.٩ومن الناحية المنهجية، لا ينبغي تسوية العناصر التي تتكرر في المصادر المبكرة بالتفاصيل التي تظهر في مصادر متأخرة. فالأصل المتكرر هو قدوم كعب وإسلامه وإنشاد قصيدته مادحًا ومعتذرًا، أما بعض التفاصيل المكانية والأشخاص المصاحبين وخبر خلع البردة وانتقالها بعد ذلك فتحتاج إلى دراسة طبقات روايتها على حدة. وهذه التفرقة ضرورية لأن شهرة الصورة المتأخرة قد تجعلها تبدو جزءًا ثابتًا من أقدم الخبر، مع أن التتبع التاريخي يكشف تفاوت عناصر الرواية في الظهور والثبوت.

ثانيًا: تداخل الخبر والقصيدة

لم تحفظ كتب السيرة خبر كعب مجردًا من الشعر، بل أدرجت القصيدة أو طائفة من أبياتها في بنية الرواية. وقد أدى هذا التداخل إلى أن يصبح النص الشعري وثيقة داخل الخبر، وأن يصبح الخبر إطارًا لتفسير النص. فأبيات الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم والرجاء في عفوه ومدحه تستمد جانبًا من دلالتها من معرفة حال كعب قبل القدوم، كما أن الخبر يستعين بالقصيدة لإثبات اعتذاره وتغير موقفه.

ويظهر هذا التداخل بوضوح في قوله:

نبئت أن رسول الله أوعـدني والعفو عند رسول الله مأمول

فهذا البيت يؤدي داخل القصيدة وظيفة الاعتذار والرجاء، لكنه يؤدي داخل السيرة وظيفة سردية أيضًا؛ لأنه يلخص حال الشاعر بين الوعيد والأمل. وكذلك يتصل قوله:

مهلًا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قـرآن فيهـا مـواعيـظ وتفصيل

بالمواجهة المباشرة في المجلس وبمحاولة الشاعر دفع ما بلغه من الأقوال عنه. أما قوله:

إن الرسول لنور يسـتضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فقد أصبح من أشهر أبيات المديح في القصيدة، واستقل في التداول والاستشهاد عن بقية سياقه، مع بقائه علامة على انتقال الشاعر من الخصومة إلى الإقرار بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم.١٠إن إدراج القصيدة في الخبر لم يؤد إلى حفظ المناسبة وحدها، بل وجّه قراءة أجزائها. فالنسيب ووصف الناقة، على امتدادهما، قرئا في ضوء الرحلة إلى الاعتذار؛ إذ غدت الناقة وسيلة الوصول إلى مجلس الأمان، وأصبحت صعوبة الرحلة جزءًا من تصوير الخوف والرجاء. وقد ناقش الشراح بعد ذلك مناسبة البداية بالنسيب، وعلاقة أقسام القصيدة بعضها ببعض، وسبب انتقال الشاعر من ذكر سعاد والناقة إلى الاعتذار والمديح. وهكذا ولد الخبر أسئلة تفسيرية ظلت حاضرة في الشروح، ولم يبق مجرد مقدمة تاريخية توضع قبل النص.كما أسهم اتصال القصيدة بخبر إسلام كعب في منحها مكانة خاصة بين أشعار المخضرمين. فليست قيمتها في أن قائلها أدرك الجاهلية والإسلام فحسب، وإنما في أن القصيدة نفسها وضعت في لحظة الانتقال بينهما. وقد حملت بنيتها آثار التقليد الشعري القديم في النسيب والرحلة والمديح، لكنها اتجهت في مقصدها النهائي إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا أمكن أن تُقرأ بوصفها شاهدًا على استمرار تقاليد القصيدة العربية، وفي الوقت نفسه شاهدًا على تغير الجهة التي ينتهي إليها المديح والمعاني التي يكتسبها.

ثالثًا: خبر البردة وتكوين الاسم

يرتبط اسم «البردة» في التقليد الشائع بخبر خلع النبي صلى الله عليه وسلم بردته على كعب بعد إنشاد القصيدة. وقد شاعت هذه الرواية في كتب الأدب والشروح والشمائل، وربطت بعض المصادر بينها وبين البردة التي قيل إن الخلفاء توارثوها أو اقتنوها بعد شراء معاوية إياها من ورثة كعب. وبذلك لم يعد خبر البردة متعلقًا بالقصيدة وحدها، بل نشأ حول الثوب نفسه تاريخ مادي ورمزي امتد بعد وفاة الشاعر.١١غير أن أقدم النصوص التي تروي قدوم كعب وإنشاده لا تعرض جميع تفاصيل الخبر بالصورة التي استقرت في المصادر المتأخرة. ولذلك ينبغي التفريق بين ثبوت أصل القدوم والإنشاد، وشهرة خبر خلع البردة. ولا يعني هذا التفريق إلغاء الرواية من تاريخ القصيدة؛ فهي، بصرف النظر عن درجة ثبوتها، أدت أثرًا واسعًا في التلقي، حتى غلب اسم «البردة» على القصيدة إلى جانب اسمي «بانت سعاد» و«الكعبية». وإنما يمنع التفريق تحويل الشهرة المتأخرة إلى دليل آلي على وجود التفصيل نفسه في أقدم طبقات الخبر.وقد أسهمت الشروح في تثبيت رواية البردة وإعادة تداولها. فالشارح حين يقدم للقصيدة يترجم لكعب ويذكر سبب إنشادها وما وقع له، ثم ينتقل إلى شرح أبياتها. وبذلك انتقلت الرواية من كتب السيرة والتاريخ إلى مقدمات الشروح وكتب الشواهد، وأصبحت جزءًا من المدخل المعتاد إلى النص. كما ناقش عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب» والسيوطي في «شرح شواهد المغني» خبر كعب والقصيدة والبردة، فدخلت الرواية في سياق توثيق الشاهد الشعري ونسبته، ولم تبق محصورة في كتب السيرة.١٢ويدل ذلك على أن خبر البردة مارس وظيفتين متداخلتين: فقد منح القصيدة اسمًا ذا دلالة نبوية، وأسهم في رفع منزلة النص نفسه. فالبردة في الذاكرة اللاحقة ليست ثوبًا فحسب، وإنما علامة على القبول بعد الخوف، وعلى انتقال كعب من الهجاء إلى المديح ومن التهديد إلى الأمان. ومن هنا اكتسبت القصيدة سلطة تستند إلى كونها، في تصور المتلقين، قُبلت في المجلس النبوي، ثم عززت الشروح وكتب اللغة والأدب هذه السلطة بطرائق أخرى.

رابعًا: من الحدث السيري إلى المرجعية التراثية

لم يؤد الخبر المؤسس إلى حصر القصيدة في السيرة، بل كان نقطة انطلاق لمسار أوسع. فقد انفصلت أبياتها تدريجيًا عن مناسبة الاعتذار، ودخلت في كتب اللغة والنحو والتفسير والبلاغة والأدب. ومنذ مصادر مبكرة، مثل «العين» للخليل و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة و«الغريب المصنف» لأبي عبيد، أصبحت أبيات منها شواهد على ألفاظ وتراكيب ومعانٍ. ويكشف هذا التحول أن السلطة الناتجة من الحدث النبوي لم تكن وحدها المسؤولة عن استمرار النص؛ فقد انضمت إليها سلطة لغوية نشأت من تعامل العلماء مع شعر كعب بوصفه مادة فصيحة صالحة للاحتجاج.١٣وهكذا تحركت «بانت سعاد» بين صورتين متكاملتين: القصيدة الكاملة المرتبطة بخبر القدوم والإنشاد، والبيت المفرد الذي يعمل داخل مسألة علمية مستقلة. وفي الصورة الأولى تحفظ السيرة وحدة النص ومناسبته، وفي الثانية تفكك المصنفات العلمية القصيدة إلى شواهد صغيرة، وتعيد توزيعها وفق حاجات العلوم. ثم جاءت الشروح لتعيد جمع هذين المسارين؛ فهي تشرح القصيدة متنًا متصلًا، وتستحضر في الوقت نفسه أخبارها ورواياتها وشواهد اللغة والنحو المتصلة بأبياتها.وبذلك كان الخبر المؤسس بداية صناعة سلطة مركبة: سلطة سيرية تستمد قوتها من الصلة المباشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وسلطة شعرية ولغوية تستمد قوتها من فصاحة النص ودخوله في مدونات العربية، وسلطة شارحة نتجت من تراكم القراءات حوله. وسيظهر في المباحث اللاحقة أن هذه السلطات لم تبق منفصلة، بل تفاعلت في تثبيت القصيدة وإعادة إنتاجها.

المطلب الثاني: المرض والرؤيا والشفاء في رواية بردة البوصيري

أولًا: شهادة الأدفوي والطبقة القريبة من عصر البوصيري

تختلف بداية المسار في بردة البوصيري؛ إذ لا يرتبط النص بلقاء تاريخي مباشر بين الشاعر والنبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ارتبط في الرواية التي شاعت لاحقًا بمرض الشاعر واستشفائه بالقصيدة ثم رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم في المنام. غير أن فحص المصادر يكشف أن هذه القصة لم تظهر منذ البداية بجميع تفاصيلها المعروفة، بل تكونت في طبقات، وأن بعض المصادر القريبة من البوصيري أثبت شهرة القصيدة والاستشفاء بها من غير أن يورد قصة الرؤيا والبردة.يمثل كمال الدين الأدفوي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، شاهدًا مهمًا لقربه الزمني من البوصيري. فقد ترجم له في «البدر السافر عن أنس المسافر»، ووصفه بأنه شاعر مجيد أديب، ثم ذكر قصيدته المسماة بالبردة، وأكد ما نالته من الحظ والقبول. وتكمن أهمية شهادته في أنه لم يكتف بوصف شهرة النص، بل رسم صورة واضحة لمجالات تداوله؛ فذكر أن أهل العلوم والآداب نقلوه وحفظوه، وأن القصيدة سارت في المشارق والمغارب، وتُجمّل بها في المحافل والمواكب، واستشفى الناس بها، وقصدوا ناظمها من البلاد المتباعدة بسببها.١٤وتكشف هذه الشهادة أن الوظائف التي ستصبح لاحقًا مركزية في تقليد البردة كانت قد بدأت في زمن قريب من ناظمها: الحفظ والنقل بين أهل العلم والأدب، والحضور في المحافل والمواكب، والاستشفاء، والانتشار الجغرافي. فهي لا تصف شهرة أدبية مجردة، وإنما تشير إلى انتقال القصيدة بين مجالات علمية واجتماعية وتعبدية. كما أورد الأدفوي طريقًا قريبًا لرواية النص، فقال إن صدر الدين محمد بن محمد الميدومي أنشده القصيدة إجازة عن البوصيري، ثم سرد القصيدة. وهذا الطريق يعزز استقرار نسبتها إلى ناظمها، ويثبت أن نقلها بالإجازة كان جزءًا من تلقيها المبكر.واللافت أن الأدفوي،

على الرغم من عنايته بذكر قبول القصيدة والاستشفاء بها وسردها كاملة، لم يورد قصة مرض البوصيري ورؤيته النبي صلى الله عليه وسلم ومسحه وجهه وإلقائه البردة عليه. ولا يجوز تحويل سكوت مصدر واحد إلى نفي قاطع للقصة؛ فقد يسكت المترجم عن خبر يعرفه، وقد تختلف أغراض التراجم في الانتقاء. لكن لهذا السكوت قيمته حين يكون المصدر قريبًا من الشاعر ومهتمًا بالقصيدة واستشفاء الناس بها. فهو يدل، في أقل تقدير، على أن قصة الرؤيا لم تكن عنصرًا لازمًا في كل تعريف مبكر بالبردة، وأن شهرتها ووظائفها لا تتوقف كلها على نقل القصة المفصلة.ومن ثم يمكن التمييز في الطبقة المبكرة بين أمرين: قبول القصيدة والاستشفاء بها، وهما ثابتان في شهادة الأدفوي، والتفسير القصصي لهذا القبول من خلال مرض الناظم والرؤيا والشفاء، وهو ما يظهر بتفاصيل أوضح في مصادر أخرى. وتفيد هذه التفرقة في منع قراءة جميع الشهادات المبكرة في ضوء الصيغة المتأخرة للرواية.١٥

ثانيًا: تشكل رواية المرض والرؤيا

تورد المصادر اللاحقة رواية منسوبة إلى البوصيري مفادها أن فالجًا أصابه فأبطل نصفه، ففكر في نظم القصيدة، واستشفع بها إلى الله تعالى في أن يعافيه، وكرر إنشادها وبكى ودعا وتوسل، ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح على وجهه وألقى عليه بردة، فاستيقظ ووجد في نفسه قدرة على النهوض. وقد نقل ابن شاكر الكتبي هذه الرواية في ترجمة البوصيري في «فوات الوفيات»، وصارت صيغتها من أشهر ما يروى في سبب نظم القصيدة وتسميتها.١٦تجمع هذه الرواية عناصر متعددة في بناء واحد: المرض، ونظم المديح، والتوسل، وتكرار الإنشاد، والبكاء والدعاء، والرؤيا، والمسح، والبردة، ثم الشفاء. ولا يعمل أي عنصر فيها منفردًا؛ فالقصيدة تصبح وسيلة الاستشفاء، والرؤيا علامة على قبول المديح، والبردة رمزًا لهذا القبول، والشفاء أثرًا مترتبًا عليه. وبذلك تفسر الرواية اسم القصيدة ومنزلتها ووظيفتها في الوقت نفسه، وهو ما يفسر قدرتها على الانتشار والاندماج في مقدمات الشروح والتراجم وكتب المناقب.ولا تقف روايات نشأة البردة عند صيغة واحدة. فقد رويت أخبار أخرى عن رؤيا للبوصيري لم يكن فيها مريضًا، وإنما كانت سببًا في امتلاء قلبه بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ونظمه المدائح. كما ظهرت رواية يلقاه فيها شخص يسأله عن القصيدة التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم، ويخبره بأنه سمعها في المنام تنشد بين يديه. وتختلف الروايات في اسم هذا الشخص وفي حضوره للرؤيا وفيمن شاهد إلقاء البردة، كما تختلف في كون المسح وقع على الوجه أو على أعضاء الجسد، وفي مقدار ما يذكر من تفاصيل المرض والشفاء.ولا ينبغي النظر إلى هذه الاختلافات بوصفها اضطرابًا يمكن تجاوزه باختيار الرواية الأكثر شيوعًا، لأنها تمثل مادة أساسية لفهم تشكل التقليد. فكل زيادة تؤكد جانبًا من جوانب سلطة النص: مشاركة شخص آخر في معرفة القصيدة من غير سماع سابق توسع دائرة الشهادة على قبولها، وتمايل النبي صلى الله عليه وسلم لاستحسانها – في بعض الروايات المتأخرة – يحول الرؤيا إلى تقويم جمالي وروحي للنص، وإلقاء البردة يفسر الاسم، والشفاء يفسر الاستعمال الاستشفائي. وبذلك تكشف اختلافات الخبر عن نمو وظائف القصيدة داخل الرواية نفسها.

ثالثًا: تعدد روايات التسمية

كان العنوان المعروف للقصيدة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، لكن اسم «البردة» غلب عليه حتى صار الاسم الأول في التداول. وقد ربطت الرواية المشهورة هذا الاسم بالبردة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم على البوصيري في المنام. غير أن المصادر حفظت وجوهًا أخرى في تفسير التسمية، ومن ذلك ما اتصل بنسخة القصيدة ورؤيا أبي الرجا الفارقي وشفائه، فضلًا عن الصيغ المختلفة التي جمعها حاجي خليفة في «كشف الظنون».«١٧وتعدد هذه الوجوه يمنع الجزم بأن تفسيرًا واحدًا كان حاضرًا منذ لحظة إنشاء القصيدة. والأقرب أن الاسم والرواية دعّم كل منهما الآخر في التداول: فقد هيأ اسم البردة لربط القصيدة برمز نبوي ذي ذاكرة سابقة، ثم جاءت أخبار الرؤيا والشفاء لتمنح الاسم تفسيرًا مناقبيًا. ومع تكرار القصة في التراجم ومقدمات الشروح أصبح من الصعب في الذاكرة اللاحقة الفصل بين القصيدة وسبب تسميتها المروي.وقد أدى الاسم دورًا يتجاوز التعريف بالعمل؛ إذ منح القصيدة صلة رمزية ببردة كعب، وأدخلها في سلسلة من المدائح التي تستدعي القبول النبوي. ومع ذلك بقي عنوان «الكواكب الدرية» حاضرًا في الفهارس والشروح، وهو ما يدل على أن الهوية النصية للقصيدة لم تختزل تمامًا في الرواية ذات الطابع القائم على الكرامة والرؤيا، ويكشف تعايش العنوانين عن مستويين من التلقي: عنوان يصف جنس القصيدة وموضوعها، واسم شعبي وعلمي شائع يستدعي القصة والبركة.

رابعًا: انتقال الرواية من الترجمة إلى الممارسة

لم تبق رواية الشفاء خبرًا يتداوله المترجمون، بل شاركت في إنتاج ممارسة اجتماعية ودينية حول القصيدة. فقد ذكر الأدفوي أن الناس استشفوا بها وقصدوا ناظمها من البلاد المتباعدة بسببها. ثم تواترت الإشارات في المصادر اللاحقة إلى التبرك بها وقراءتها في المجالس واستعمال أبياتها في دفع الشدائد وطلب الشفاء. وبذلك لم تعد القصة تفسر حدثًا وقع للناظم فحسب، وإنما أصبحت أصلًا قابلًا للتكرار، فما تحقق للبوصيري بحسب الرواية يمكن أن يرجوه قارئ القصيدة أو سامعها.١٨وتكشف بعض الشروح عن هذا الانتقال حين تقدم البردة بوصفها قصيدة يتبرك ويستشفى بها أكثر من

غيرها من المدائح، وتربط ذلك بكرامة ظهرت على ناظمها. ففي هذه الصياغة يتحول الخبر إلى تعليل مباشر لوظيفة النص. وكلما أعيدت قراءة القصة في مقدمة شرح أو مجلس، تجددت الصلة بين القصيدة والشفاء، واتسعت سلطة الخبر خارج كتب التراجم.كما اتخذت بعض الأعمال من خواص أبيات البردة ومنافعها موضوعًا مستقلًا، فربطت أبياتًا مخصوصة بحاجات وأحوال معينة. وتمثل هذه المؤلفات مرحلة متقدمة في انتقال الرواية إلى الممارسة؛ لأن الاعتقاد العام ببركة القصيدة أعيد تنظيمه في نظام يوزع المنافع على أبياتها. وسواء نظر الباحث إلى هذه المؤلفات من جهة الاعتقاد الديني أو من جهة تاريخ الثقافة، فإنها تشهد على أن الرواية القائمة على الكرامة والرؤيا أسهمت في تحديد طريقة استعمال النص، ولم تبق مجرد حكاية تروى في ترجمة الشاعر.

خامسًا: الرواية والإسناد واستقرار النسبة

مع أن التلقي اللاحق ركز على قصة الرؤيا، فإن المصادر حفظت إلى جانبها مسارًا آخر هو رواية القصيدة عن ناظمها. فقد أورد الأدفوي إجازة الميدومي عن البوصيري، وذكرت كتب الوفيات والتراجم أشخاصًا سمعوا البردة من ناظمها أو رووها عمن أخذها عنه. ومن ذلك ما ورد في «الذيل على العبر» عن ابن بنت الأعز، إذ حدث بالبردة بسماعه من البوصيري، وما ذكره الفاسي في «ذيل التقييد» من روايتها عن أبي حيان عن ناظمها.١٩وتكشف هذه الأسانيد أن البردة لم تنتقل بالممارسة الشعبية وحدها، بل دخلت أيضًا في نظام الإجازة والسماع. وهذا المسار ذو أهمية خاصة عند المقارنة بـ«بانت سعاد»؛ فقرب العهد بالبوصيري أتاح حفظ طرق تتصل بناظم القصيدة، وأسهم في استقرار أصل نسبتها إليه. ولذلك لم تصبح صحة النسبة محورًا جدليًا في تلقيها بالمقدار الذي ظهر في بعض جوانب تلقي قصيدة كعب، وإن بقي اختلاف النسخ والألفاظ والعناوين مجالًا للفحص.وبهذا اجتمع في المرحلة المبكرة من تقليد البردة مساران متجاوران: مسار علمي يقوم على الإجازة والسماع والشرح، ومسار وجداني وتعبدي يقوم على القبول والاستشفاء والرؤيا. ولم يكن المساران منفصلين؛ فقد يكون الراوي عالمًا أو شيخًا يقرئ القصيدة، ثم يذكر كرامتها وخواصها، وقد يجمع الشرح بين تحليل الإعراب والمعنى وبيان ما نسب إلى أبياتها من فضائل. وهذا الاندماج من أبرز الخصائص التي ستوجه تلقي بردة البوصيري في القرون اللاحقة.

المطلب الثالث: من الخبر إلى السلطة

أولًا: اختلاف مرتبة الصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم

تشترك القصيدتان في أن خبرهما المؤسس يصل النص بالنبي صلى الله عليه وسلم، غير أن طبيعة هذه الصلة مختلفة. ففي «بانت سعاد» تقوم الرواية على لقاء مباشر وإنشاد علني أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل الخبر في سياق إسلام كعب والصفح عنه. أما بردة البوصيري فتقوم صلتها في الرواية الشائعة على رؤيا منامية وقعت بعد عصر النبوة بقرون، وجعلت المديح والاستشفاء سببًا في الشفاء.ويترتب على هذا الفرق تفاوت الخبرين في مرتبتهما التاريخية. فخبر كعب ينتمي إلى كتابة السيرة، وله أصل مبكر تتداوله مصادر الأخبار والتراجم، وإن اختلفت بعض تفاصيله. أما قصة البوصيري فتنتمي إلى أخبار الرؤى والكرامات، وتظهر تفاصيلها في مصادر لاحقة مع اختلاف في صورها. ولا يجوز أن يحجب اشتراكهما في اسم البردة هذا التفاوت، أو أن تجعل الدلالة الروحية للرؤيا مساوية في الإثبات التاريخي للقاء المباشر.لكن اختلاف المرتبة التاريخية لا يعني أن الخبر الأضعف توثيقًا أقل أثرًا في التلقي. فقد تكون الرواية المتأخرة شديدة الفاعلية في تشكيل الاستعمالات الاجتماعية للنص. وهذا ما يظهر في بردة البوصيري؛ إذ أسهمت قصة الرؤيا والشفاء، بصرف النظر عن الحكم على ثبوت تفاصيلها، في توجيه القراء إلى الاستشفاء والتبرك والأداء التعبدي، حتى صارت جزءًا من الهوية الثقافية للقصيدة. ومن هنا ينبغي الفصل بين سؤال: هل وقع الخبر كما روي؟ وسؤال: ماذا صنع الاعتقاد به في تاريخ النص؟

ثانيًا: من الاعتذار إلى القبول، ومن المديح إلى الشفاء

تتحرك رواية «بانت سعاد» حول ثنائية الخوف والأمان. فقد جاء كعب بعد الوعيد، وكشف عن نفسه، وأسلم، وأنشد معتذرًا، فانتهت القصة إلى القبول. ولذلك ظلت معاني الاعتذار والصفح والتحول ملازمة لتلقي القصيدة. أما رواية البوصيري فتتحرك حول ثنائية المرض والشفاء؛ إذ ينظم الشاعر المديح ويتوسل، ثم يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويستيقظ معافى. ولذلك غدت معاني الرجاء والبركة والاستشفاء مركزية في تاريخها.ولا يعني هذا أن القصيدة الأولى تخلو من الرجاء، أو أن الثانية تخلو من الاعتذار والتوبة؛ ففي كلتيهما عناصر يمكن أن تتقاطع. إنما يتعلق الاختلاف بالبنية السردية التي اختارها التقليد لتفسير نشأة النص. فالمتلقي الذي يدخل «بانت سعاد» من باب خبر إسلام كعب يقرأها بوصفها صوت رجل يطلب الأمان ويعلن تحوله، والمتلقي الذي يدخل بردة البوصيري من باب المرض والرؤيا يقرأها بوصفها مديحًا مقبولًا ووسيلة للتقرب وطلب الشفاء.وقد انعكس ذلك على الوظائف اللاحقة. فبقيت «بانت سعاد» وثيقة مهمة في كتب السيرة والتراجم، ثم التحمت بعلوم العربية من خلال الاستشهاد والشرح.

أما البردة فدخلت بقوة في المجالس والمواكب والأوراد، وأصبحت تلاوتها وإنشادها عملًا جماعيًا متكررًا، إلى جانب شرحها وإقرائها. فالخبر المؤسس لم يقرر وحده تاريخ كل قصيدة، لكنه منح التقليد اتجاهًا أوليًا استطاعت المؤسسات اللاحقة توسيعه.

ثالثًا: الوعاء الناقل وطبيعة السلطة

أسهم اختلاف أوعية الرواية في تعميق الفرق بين المسارين. فقد انتقل خبر كعب عبر السيرة وطبقات الشعراء وكتب الأدب والشواهد، فظل مرتبطًا بالتاريخ والشعر واللغة. وكلما أعادت هذه الكتب روايته أكدت موقع القصيدة داخل ذاكرة الإسلام المبكر وداخل مدونة الشعر العربي. أما خبر البوصيري فانتقل عبر كتب الوفيات والتراجم ومقدمات الشروح والمناقب والفهارس وكتب الخواص، فاقترب من خطاب الولاية والكرامة والبركة، مع بقائه حاضرًا في الأوساط العلمية من خلال الإجازات والشروح.ولا يكون الوعاء مجرد حافظ محايد للخبر؛ لأنه يعيد تحديد معناه. فحين يرد خبر كعب في السيرة يصبح جزءًا من تاريخ الدعوة والتحول إلى الإسلام، وحين يرد البيت في معجم يصبح دليلًا لغويًا، وحين يرد الخبر في مقدمة شرح يصبح مدخلًا لتفسير النص. وكذلك تتحول قصة البوصيري في كتاب التراجم إلى منقبة للشاعر، وفي مقدمة الشرح إلى بيان لفضل القصيدة، وفي كتاب الخواص إلى أساس لممارسة محددة.ومن هنا يمكن وصف سلطة «بانت سعاد» في هذه المرحلة بأنها سلطة سيرية في أصلها؛ إذ تستمد خصوصيتها من الإنشاد في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وقبول الشاعر بعد إسلامه. ثم اتصلت بهذه السلطة سلطة لغوية وأدبية مبكرة. أما بردة البوصيري فتتكون سلطتها من تفاعل المديح مع خبر الرؤيا والشفاء، ومن القبول الذي شهد به معاصرو ناظمها أو القريبون من عصره، ثم من دخولها في الحفظ والإجازة والاستشفاء والمجالس.

رابعًا: دلالة اسم «البردة» في التقليدين

جمع اسم «البردة» القصيدتين داخل ذاكرة واحدة، لكنه أخفى اختلافًا في مدلوله. ففي التقليد الكعبي تشير البردة إلى أثر مادي منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سياق لقاء مباشر، ثم يمتد الخبر إلى انتقال ذلك الأثر بين أيدي الخلفاء. أما في التقليد البوصيري فالبردة رمز منامي يرتبط بالمسح والشفاء والقبول. وهكذا تتحرك الأولى داخل التاريخ المروي للقاء، بينما تتحرك الثانية داخل تاريخ الرؤيا والكرامة.وقد منح الاسم القصيدتين علامة يسهل تداولها وتذكرها، وربطهما بالقرب النبوي، لكنه لم يلغ عناوينهما الخاصة. فاستمرار اسم «بانت سعاد» يدل على حضور المطلع والهوية الشعرية، واستمرار عنوان «الكواكب الدرية» يدل على موضوع المديح وبنية العمل. وبذلك يحمل كل نص هوية مزدوجة: هوية تستمد من ألفاظ القصيدة أو عنوانها، وهوية تستمد من الخبر الذي أحاط بها.ومن الممكن النظر إلى انتقال اسم البردة إلى قصيدة البوصيري بوصفه صورة من صور التلقي الأدبي؛ إذ استدعى الاسم ذاكرة القصيدة الأقدم، ثم أعاد بناء دلالته في سياق جديد. فلم تعد البردة مقصورة على الثوب الذي قيل إن كعبًا ناله في اليقظة، بل أصبحت رمزًا للقبول النبوي الذي يناله المادح في المنام. وهذا التحول مثال مبكر على أن التقليد لا يكرر الرموز كما هي، وإنما ينقلها ويكيفها بحسب حاجاته.

خامسًا: الخبر بوصفه منتجًا للوظيفة

تكشف المقارنة أن الخبر المؤسس لا يعمل بوصفه وصفًا للماضي فقط، بل ينتج وظائف مستقبلية للنص. فقد جعل خبر كعب القصيدة وثيقة اعتذار وإسلام وقبول، ثم وفّر لها مدخلًا ثابتًا في السيرة والشروح. وجعل خبر البوصيري القصيدة أثرًا للمديح المقبول ووسيلة للشفاء، ثم فتح أمامها مجال التلاوة التعبدية والاستشفاء وكتب الخواص. وكلما أعيد سرد الخبر تجددت هذه الوظائف وتأكدت.غير أن الوظيفة لا تنشأ من الخبر وحده؛ إذ تحتاج إلى مؤسسات تنقلها وتثبتها. فلولا كتب السيرة والشروح وكتب الشواهد لما بقي خبر «بانت سعاد» فاعلًا بالصورة نفسها، ولولا التراجم والشروح والمجالس والأوراد وكتب الخواص لما اتسعت الوظيفة الاستشفائية لبردة البوصيري. ومن ثم فالسلطة ثمرة تفاعل بين القصة والنص والوعاء والجمهور، وليست نتيجة عنصر منفرد.كما أن الخبر قد يتغير حين ينتقل بين الأوعية. فقد تختصر السيرة بعض تفاصيله، ويوسعها الشارح، ويضيف إليها صاحب المناقب ما يقوي معنى الكرامة، ثم يعيد الباحث الحديث فحص أسانيدها وتسلسل ظهورها. ولذلك فإن تاريخ الخبر نفسه جزء من تاريخ التلقي؛ لأنه يكشف ما اختارته كل مرحلة من عناصر الرواية، وما أضافته إليها، والوظيفة التي أرادت تأكيدها.

المبحث الثاني: الشرح والتعليم وتكوين المرجعية العلمية

إذا كان الخبر المؤسس قد منح القصيدتين صلتهما الأولى بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإن الشرح والتعليم نقلا هذه الصلة من مجال الرواية إلى مجال المعرفة المنظمة. فلم يعد النصان يُرويان بسبب مناسبتيهما أو منزلتيهما فحسب، بل أصبحا متنين يدرسان ويُفسَّران، وتُضبط ألفاظهما ورواياتهما، وتناقش تراكيبهما وصورهما ومعانيهما. ومن خلال هذه العملية دخلت القصيدتان في مؤسسات العلم والإقراء، وتكونت حول كل منهما طبقات من الشروح والحواشي والاختصارات والأسانيد.

ويكشف تاريخ الشرح أن بقاء القصيدة لا يتحقق بمجرد استمرار رواية ألفاظها؛ فالشرح يعيد إدخالها في أسئلة كل عصر، ويصلها بالعلوم والمصادر التي يعتمدها الشارح. وقد يركز أحد الشراح على اللغة والغريب، ويجعل آخر النحو والصرف محور عمله، ويتوسع ثالث في البلاغة والأخبار والشواهد، بينما يضم غيره إلى ذلك مباحث العقيدة والتصوف والسيرة. ومن هنا لا تمثل الشروح كتبًا متشابهة تكرر معنى واحدًا، بل تمثل طرائق تاريخية مختلفة في قراءة النص وتحديد وظيفته.

المطلب الأول: نشأة الشرح وتنوع وظائفه

أولًا: تحول القصيدة إلى متن للشرح

يمثل الشرح مرحلة مختلفة عن مجرد رواية القصيدة أو الاستشهاد ببيت منها. ففي الرواية يُحفظ النص أو الخبر المتصل به، وفي الاستشهاد يُنتزع بيت أو شطر لأداء وظيفة علمية محددة، أما في الشرح فتصبح القصيدة نفسها موضوعًا للقراءة المتتابعة. ويتوقف الشارح عند ألفاظها وتراكيبها ومعانيها وصورها، ويستحضر ما يتصل بها من روايات وأخبار وشواهد، ثم يرتب ذلك كله وفق تصوره لوظيفة الشرح والجمهور الذي يتوجه إليه.

وقد تحولت القصيدتان إلى متنين شارحين، لكن هذا التحول لم يجر بالصورة نفسها. فقد ارتبط شرح «بانت سعاد» منذ مراحله الأولى بالحاجة إلى بيان الغريب وضبط الروايات وإيضاح التراكيب النحوية والصرفية، مستفيدًا من كون القصيدة نصًا قديمًا دخلت أبياته من قبل في كتب اللغة والأدب. أما بردة البوصيري فقد نشأت شروحها في بيئة كان المديح النبوي فيها متصلًا بعلوم السيرة والعقيدة والتصوف، ولذلك اتسعت فيها الوظيفة اللغوية والبلاغية لتجاور تفسير الإشارات الدينية والصوفية ومناقشة مسائل التوسل والشفاعة والمعجزات.ولا يعني هذا أن شروح «بانت سعاد» خلت من السيرة والأخبار، أو أن شروح بردة البوصيري أهملت اللغة والنحو؛ فقد جمعت شروح القصيدتين هذه العناصر بنسب متفاوتة. وإنما يكشف اختلاف الغلبة عن طبيعة الأسئلة التي وجهها الشراح إلى كل نص، وعن صورة الجمهور المتوقع له. فالقصيدة التي استقرت في مدونات اللغة والشواهد استدعت قارئًا يهتم بالرواية والإعراب والاحتجاج، والقصيدة التي دخلت مجالس المديح والتعبد استدعت قارئًا يجمع بين فهم العبارة واستحضار الدلالة الدينية والوجدانية.

ثانيًا: الشروح الأولى لـ«بانت سعاد»

أنتجت «بانت سعاد» تقليدًا شارحًا ممتدًا، ورصد الحصر السابق عددًا كبيرًا من الشروح والحواشي والاختصارات والأعمال المتصلة بها، يمتد من القرون الأولى إلى العصر الحديث. ولا يراد من هذا العدد بناء مفاضلة كمية، لأن الفهارس قد تعد النسخ المتعددة أو العناوين المختلفة للعمل الواحد مداخل مستقلة، وإنما تكمن دلالته في استمرار حاجة القراء إلى تفسير القصيدة وإعادة تقديمها.٢٠وتنوعت شروح القصيدة بين أعمال موجزة تركز على الغريب والمعنى، وأخرى تتوسع في النحو والصرف والبلاغة والرواية والأخبار. وقد كشفت الدراسة المقارنة السابقة لعينة من شروحها أن الشراح لم يتعاملوا مع الأبيات بالطريقة نفسها، حتى حين وقفوا عند الموضع ذاته. فالبيت الواحد قد يتحول عند شارح إلى مسألة لغوية، وعند آخر إلى موضع لتحليل البناء النحوي، وعند ثالث إلى صورة بلاغية، وعند رابع إلى نقطة انطلاق نحو أخبار وشواهد واستطرادات أدبية.ويبرز شرح ابن هشام الأنصاري مثالًا على كثافة العناية النحوية والصرفية. فلا يقتصر عمله على إيضاح المعنى العام، بل يفحص أوجه الإعراب والاشتقاق ودلالة الصيغة والعلاقات بين أجزاء التركيب، ويستعين بالشواهد لإثبات الوجه الذي يختاره أو بيان احتمال آخر. وتنسجم هذه العناية مع شخصية ابن هشام العلمية ومكانته في الدرس النحوي، وتكشف أن وظيفة الشرح عنده تتجاوز تقريب القصيدة إلى اتخاذها مادة للتحليل اللغوي الدقيق.٢١أما شرح ابن حجة الحموي فيمثل، في مواضع كثيرة، نمطًا أقرب إلى الإيجاز وبيان الألفاظ والمعنى المباشر. ولا يدل هذا الإيجاز على غياب المنهج، بل على اختلاف تصور وظيفة الشرح؛ فليس كل شارح معنيًا باستقصاء الاحتمالات أو جمع الشواهد. وقد تظهر قيمة الشرح الموجز في تثبيت المعنى الذي استقر في تقليد القراءة وتقديمه من غير استطراد.ويتخذ شرح السيوطي اتجاهًا مختلفًا؛ إذ قد تتحول اللفظة في البيت عنده إلى مركز تستدعى حوله نصوص لغوية وشعرية وأخبار ومعارف متنوعة. ولذلك يتجاوز الشرح في مواضع كثيرة حدود حل العبارة، ويقترب من بناء موسوعة صغيرة تنطلق موضوعاتها من ألفاظ القصيدة. ولا يكون الاستطراد عندئذ زيادة عارضة، بل يصبح جزءًا من طريقة الشارح في وصل النص بشبكة واسعة من المعارف.ويمثل شرح سليمان الجمل مرحلة متأخرة من تراكم تقليد الشرح. فقد أفاد من مادة من تقدمه، وجمع أقوالًا وروايات واحتمالات متعددة، لكنه لم يكتف بنقلها، بل أعاد ترتيب بعضها وناقشها، وطرح أسئلة تتصل بمناسبة الصور والمعاني للسياق ثم اقترح إجابات عنها. وبذلك يجمع شرحه بين حفظ الموروث الشارح وممارسة قراءة جديدة له.٢٢وتكشف هذه النماذج أن تاريخ شرح «بانت سعاد» لا يسير في خط بسيط من الاختصار إلى التوسع. فقد يكون الشرح المبكر أكثر كثافة في التحليل النحوي من شرح متأخر، وقد يتوسع المتأخر في الأخبار والمسائل الدينية والأدبية بدل التوسع في الإعراب. ولذلك لا يفسر الزمن وحده اختلاف الشروح، بل تشارك فيه ثقافة الشارح وتخصصه ومصادره والجمهور الذي يخاطبه.

ثالثًا: شروح بردة البوصيري

نشأت حول بردة البوصيري شبكة واسعة من الشروح العربية وغير العربية. وقد انتهى الحصر السابق إلى أكثر من ثلاثمائة مدخل بين شرح وحاشية واختصار وعمل متصل بالقصيدة، مع بقاء عدد كبير منها مخطوطًا. وهذا العدد تقريبي مرتبط بحدود الفهارس والمصادر التي شملها الحصر، ولا يصح اتخاذه رقمًا نهائيًا قبل تحقيق العناوين والنسب ومقابلة النسخ. لكنه يكشف، مع ذلك، كثافة غير عادية في النشاط الشارح الذي تولد حول القصيدة.ومن الشروح المبكرة «العمدة في شرح قصيدة البردة» لأبي عثمان سعيد بن يوسف الأليري الفهري الغرناطي، المتوفى سنة ٧٥١هـ، وقد حفظت منه نسخ في خزائن متعددة. وتكشف نسبة شرح مبكر كهذا إلى عالم غرناطي عن سرعة انتقال القصيدة خارج بيئتها المصرية ودخولها تقليد الشرح في الغرب الإسلامي. كما تدل كثرة نسخه وأماكن حفظها على استمرار تداوله، وإن كان تحديد أثره في الشروح اللاحقة يحتاج إلى مقارنة نصية مباشرة.٢٣ثم ظهرت شروح اتسعت في تحليل القصيدة، ومن أبرزها أعمال ابن مرزوق التلمساني، الذي نسب إليه شرح كبير سماه «الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب»، وشرح آخر بعنوان «إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة». وتكشف عناوين هذه الأعمال عن اتساع الوظيفة؛ فالبيان والإعراب يحيلان إلى التحليل اللغوي والبلاغي، بينما يحيل «صدق المودة» إلى البعد الوجداني والديني الذي تتلقاه القصيدة من خلاله.٢٤ وشرح جلال الدين المحلي القصيدة شرحًا مختصرًا، ثم أصبحت بعض الشروح المختصرة نفسها أصولًا للحواشي والتعليقات. كما شرحها خالد الأزهري شرحًا مفصلًا سماه «الزبدة في شرح قصيدة البردة»، ثم اختصره. ويكشف وجود شرح مطول وآخر مختصر للمؤلف نفسه عن اختلاف حاجات المتلقين؛ فالمطول يتيح جمع المسائل وتفصيلها، بينما يهيئ المختصر النص للتعليم السريع والحفظ والمراجعة.أما القسطلاني فقد شرحها في «مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية»، واستفاد من شروح سابقة. وتبرز في أعمال من هذا النوع صلة شرح البردة بالسيرة النبوية والحديث والشمائل، إلى جانب اللغة والبلاغة. فالقصيدة تذكر المولد والمعجزات والقرآن والإسراء والجهاد، ولا يستطيع الشارح تفسيرها من غير استدعاء مادة دينية وتاريخية واسعة.٢٥وإلى جانب هذه الأعمال ظهرت شروح تركز على الإعراب، مثل «العمدة في إعراب البردة»، وشروح تقتصر على حل الألفاظ، وأخرى تتوسع في الإشارات الصوفية والعقدية. كما أفردت بعض الأبيات برسائل مستقلة، وظهرت مؤلفات في خواص القصيدة أو خواص بعض أبياتها. ولذلك لا يمثل تقليد الشرح حول البردة اتجاهًا علميًا واحدًا، بل فضاء تتجاور فيه اللغة والنحو والبلاغة والسيرة والعقيدة والتصوف والممارسة التعبدية.

رابعًا: اختلاف الوظيفة بين التقليدين

تشترك شروح القصيدتين في عناصر أساسية، مثل شرح الغريب وضبط الروايات وإعراب التراكيب وبيان المعنى والصورة والاستشهاد بالشعر والقرآن والحديث. وهذا الاشتراك طبيعي؛ لأن شرح النص الشعري يقتضي حدًا من الأدوات المشتركة. غير أن قيمة المقارنة لا تظهر في إثبات وجود العنصر، بل في تحديد موقعه ووظيفته داخل كل تقليد.ففي شروح «بانت سعاد» يرتبط شرح اللغة والغريب بتاريخ طويل من استعمال أبيات القصيدة في كتب العربية. وقد يشرح الشارح لفظًا سبق أن احتج به أصحاب المعاجم، أو يناقش تركيبًا صار شاهدًا نحويًا مستقلًا. ولهذا تتصل الشروح بكتب الشواهد وتوثيق الرواية والنسبة اتصالًا وثيقًا. أما في شروح البوصيري فتظل القصيدة غالبًا متنًا متتابعًا؛ يشرح البيت ضمن موقعه من أبواب المديح والمولد والمعجزات والمناجاة، ويجمع الشارح بين اللغة والدلالة الدينية.ويبرز البعد العقدي والجدلي في بعض شروح البردة، ولا سيما عند الأبيات التي تتصل بالتوسل والشفاعة ومنزلة النبي صلى الله عليه وسلم. فقد أصبحت هذه الأبيات موضوعًا للدفاع أو الاعتراض أو التأويل، ونشأت حولها ردود ومناقشات. وهذا لون من التلقي لم يظهر بالكثافة نفسها حول «بانت سعاد»، لأن البنية العقدية والتعبدية للبردة جعلت بعض عباراتها تتجاوز المجال الأدبي إلى مجال الجدل الديني.كما يظهر في شروح البردة حضور أوضح للتفسير الصوفي والإشاري، وهو ما يتصل ببيئة المديح النبوي في القرون المتأخرة وبالجماعات التي قرأت القصيدة وأدتها. أما شروح «بانت سعاد» فغلب على عدد كبير منها الاتصال باللغة والنحو والأدب والسيرة. وليس هذا فرقًا مطلقًا، بل اختلاف في مركز الثقل؛ فقد ترد إشارات دينية وصوفية في شرح القصيدة الكعبية، كما قد يكون شرح البردة لغويًا خالصًا أو قريبًا من ذلك.

المطلب الثاني: تراكم الشروح والحواشي والاختصارات

أولًا: التراكم بوصفه إنتاجًا للمعرفة

لا يبدأ الشارح من فراغ، بل يدخل في حوار مع سلسلة من القراءات السابقة. فقد ينقل تفسير لفظ أو وجهًا إعرابيًا، أو يختار من أقوال السابقين، أو يجمعها ويوازن بينها، أو يعترض على أحدها، أو يضيف شاهدًا جديدًا. ومن خلال هذه الأعمال يتكون التراكم الشارح. ولا ينبغي اختزال هذا التراكم في النقل أو التكرار؛ لأن اختيار المادة وإعادة ترتيبها ووضعها في سياق جديد يمكن أن يغير وظيفتها.ويظهر هذا بوضوح حين يتكرر تفسير واحد

في شروح متعددة، لكنه لا يؤدي الوظيفة نفسها. فقد يذكره شرح موجز لتقريب المعنى، ويورده شرح مطول بوصفه واحدًا من احتمالات عدة، ويستعمله ثالث أساسًا لمناقشة نحوية أو بلاغية. فالمادة الموروثة واحدة، لكن موضعها في بناء الشرح وطريقة عرضها والعلاقة بينها وبين غيرها تختلف.

ولهذا لا يكفي تشابه عبارتين لإثبات النقل المباشر بين شارحين؛ فقد تكون المادة شائعة في كتب اللغة، أو تكون جزءًا من تقليد شفهي وتعليمي، أو يكون كلاهما قد أخذ من أصل سابق. ولا يثبت الاعتماد المباشر إلا بإحالة صريحة أو تقارب نصي واسع أو ترتيب خاص للمادة يصعب تفسيره بالمصادر المشتركة. وهذه القاعدة ضرورية عند دراسة شروح القصيدتين، لكثرة ما يدور فيها من معانٍ لغوية وإعرابية متداولة.

ثانيًا: تراكم شرح «بانت سعاد»

حفظت شروح «بانت سعاد» مادة متراكمة تتصل برواية القصيدة وألفاظها وإعرابها وشواهدها. فالشارح المتأخر يستطيع أن يرجع إلى كتب اللغة والنحو والشعر والسيرة، وإلى شروح القصيدة نفسها، ثم يعيد بناء مادته منها. وقد أدى هذا إلى بقاء تفسيرات معينة وتكرارها، لكنه أدى أيضًا إلى ظهور أسئلة ومناقشات جديدة.ويعد شرح سليمان الجمل نموذجًا واضحًا لهذا الطور؛ إذ يجمع عددًا من أقوال المتقدمين ويعرض الاحتمالات اللغوية والنحوية والبلاغية، ثم يناقش بعضها أو يرجح بينها. كما يطرح أسئلة تتصل بمناسبة بعض الصور الشعرية للسياق الديني، كالسؤال عن ابتداء القصيدة بالنسيب أو ورود وصف الخمر في بعض صورها. ويكشف ذلك أن الشارح المتأخر لا ينقل التراث فحسب، بل يعيد مساءلته من داخل أفقه الثقافي.٢٦وقد حفظت الشروح أيضًا اختلاف روايات النص. فاللفظ المختلف قد يترتب عليه اختلاف في الإعراب أو المعنى أو الصورة، ولذلك يسجل الشارح الرواية ثم يناقش أثرها. وبهذه الوظيفة أصبحت الشروح شاهدًا على التاريخ النصي للقصيدة، لا مجرد وسائل لفهمها. وقد تحفظ رواية لم تشتهر في الدواوين المطبوعة، أو تنبه إلى زيادة بيت أو اختلاف ترتيبه.ومع ذلك يبدو تراكم شروح «بانت سعاد» في المادة المتاحة أقرب إلى التجمع داخل الشرح الجامع نفسه منه إلى إنشاء شبكة واسعة من الحواشي والتقريرات على شرح مخصوص. فقد أفاد اللاحقون من السابقين، واختصر بعضهم أو جمع، لكن البنية الأكثر ظهورًا هي شرح القصيدة الأصلية مع إدماج الأقوال والروايات والشواهد السابقة.

ثالثًا: تراكم شروح البردة

يتخذ التراكم حول بردة البوصيري صورة أكثر تشعبًا؛ إذ لم تتراكم الشروح على القصيدة وحدها، بل تحولت بعض الشروح إلى أصول تنشأ حولها الحواشي والاختصارات والتقريرات. فقد يجمع عالم عددًا من الشروح في كتاب واحد، ثم يأتي آخر فيختصر هذا الجمع، أو يضع حاشية على شرح مختصر، أو يشرح تخميسًا من تخميسات القصيدة.ومن أمثلة الجمع ما صنعه علي بن ثابت التلمساني حين جمع مادة من شروح سابقة، وما قام به ابن الحاج الورنيدي من الجمع بين شروح ابن مرزوق والعقباني وعلي بن ثابت مع إضافات من عنده. ويكشف هذا النوع من التأليف أن الشروح السابقة أصبحت هي نفسها مصادر يختار منها المؤلف ويرتبها، وأن قارئ البردة لم يعد يواجه القصيدة وحدها، بل يواجه تاريخًا من الأقوال يحتاج إلى جمع وتنظيم.كما اختصر القسطلاني ثلاثة شروح، فمثل اختصاره مرحلة جديدة في حركة المعرفة حول النص. فالاختصار ليس مجرد حذف للحجم؛ إذ يحدد المختصر ما يراه أساسيًا، ويهمل ما لا يلائم غرضه أو جمهوره. وبهذا يشارك في ترتيب سلطة الأقوال داخل التقليد، ويقرر بصورة ضمنية أي المسائل ينبغي أن تبقى متداولة.٢٧وظهرت حواشٍ على شروح المحلي وخالد الأزهري وغيرهما، ثم أضيفت إليها تقارير وتعليقات لاحقة. والحاشية لون من القراءة يختلف عن الشرح المستقل؛ لأنها تتعامل مع القصيدة من خلال وسيط شارح، وقد يكون غرضها حل عبارة في الشرح أو الاعتراض على توجيه أو إضافة فائدة أغفلها المؤلف. وبذلك تصبح العلاقة ثلاثية بين متن القصيدة والشرح والحاشية، وقد تنشأ طبقات أخرى إذا وضعت تقارير على الحاشية أو اختصر العمل.وتجاوز التراكم النص الأصلي إلى الأعمال المتولدة منه. فقد شُرحت بعض تخميسات البردة، وجُمعت تخميسات متعددة ثم شُرحت، كما نشأت شروح للبديعيات المعارضة لها. وهذه الظاهرة مهمة في تحديد طبيعة التقليد؛ لأن النص التابع يكتسب من المكانة ما يجعله موضوعًا للشرح، فينشأ داخل التقليد فرع له متنه وشراحه وقراؤه.

رابعًا: دلالة اختلاف التراكم

يدل تراكم الشروح في التقليدين على أن القراءة لم تكن فعلًا عابرًا، بل عملية مؤسسية تستدعي قراءة السابق وإعادة تنظيمه. غير أن شكل التراكم يختلف. ففي «بانت سعاد» يبرز جمع الروايات واللغة والنحو والشواهد داخل شرح القصيدة، ويظل النص الأصلي مركز الحركة. أما في البردة فتتسع الدائرة لتشمل الشروح المختصرة والمطولة والحواشي والتقريرات وشروح التخميسات والنصوص المعارضة.ولا يجوز تفسير هذا الفرق بالعدد وحده؛ فاختلاف عمر القصيدتين وبيئاتهما وطرق الفهرسة والحفظ يؤثر في النتائج. لكن تنوع الطبقات المثبتة حول البردة يسمح بالقول إن الشرح تحول فيها إلى مؤسسة متعددة المستويات، بينما ظل شرح «بانت سعاد» أوثق اتصالًا بخدمة الرواية واللغة والشاهد. وليس المقصود أن أحد التقليدين أكثر علمية من الآخر، بل أن المعرفة نظمت حول النصين بطرائق مختلفة.

المطلب الثالث: الإقراء والحفظ والاستشهاد

أولًا: من القراءة الفردية إلى التداول المنظم

حين تدخل القصيدة مجال الإقراء لا تعود علاقتها بالقارئ فردية، بل تصبح جزءًا من سلسلة نقل تربط الطالب بالشيخ، وقد تقترن بالإجازة أو السماع أو قراءة شرح عليها. ويضمن هذا النظام قدرًا من استقرار النص، كما يمنح القصيدة مكانة بين المتون التي تستحق أن تُروى وتُقرأ على العلماء.

وقد عرفت القصيدتان هذا اللون من التداول. غير أن «بانت سعاد» دخلت التعليم أيضًا من طريق مختلف هو انتشار أبياتها شواهد في كتب العربية. فالطالب قد يتلقى القصيدة متنًا أو شرحًا، وقد يلتقي أبياتها مفردة في كتاب لغة أو نحو أو تفسير من غير أن يقرأ القصيدة كاملة. أما بردة البوصيري فغلب في مادتها المثبتة نقل المتن كاملًا وقراءته مع شرحه أو حفظه وإنشاده.

ثانيًا: «بانت سعاد» بين المتن والشاهد

بدأ استعمال أبيات «بانت سعاد» في المصنفات اللغوية منذ وقت مبكر. فقد وردت شواهد منها في «العين» للخليل بن أحمد، ثم في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«خلق الإنسان» للأصمعي، و«الغريب المصنف» لأبي عبيد، وتتابع حضورها بعد ذلك في المعاجم وكتب النحو والتفسير والبلاغة والشواهد.ولا يدل هذا الحضور على بقاء القصيدة كاملة في ذهن كل قارئ، لأن البيت ينتقل إلى سياق علمي مستقل، وقد لا يذكر المؤلف مناسبته أو ما قبله وما بعده. لكنه يمنح البيت حياة جديدة؛ فاللفظ أو التركيب الذي يشتمل عليه يصبح موضع احتجاج، ويتكرر استعماله في كتب لاحقة. وعندئذ لا تكون سلطة البيت مستمدة من خبر القصيدة وحده، بل من اعتماده داخل تقليد علمي.ويمر تحول البيت إلى شاهد بثلاث حركات مترابطة: الانتقاء، وتحديد موضع الدلالة، والتداول. يختار العالم بيتًا من القصيدة، ثم يحدد فيه لفظًا أو تركيبًا يصلح للمسألة التي يبحثها، ثم ينتقل هذا الاستعمال إلى مؤلفين آخرين. وقد يبقى البيت ثابتًا وتتغير جهة الاستدلال، فيعمل مرة شاهدًا لغويًا، ومرة شاهدًا نحويًا، ومرة مثالًا بلاغيًا أو تفسيرًا لمعنى قرآني.وبذلك دخلت «بانت سعاد» في التعليم من غير أن تظل دائمًا متنًا كاملًا؛ فقد توزعت أبياتها على العلوم والمصنفات. ثم أعادت كتب الشواهد جمع البيت بخبره ونسبته وروايته وإعرابه، فصار الشاهد نفسه موضوعًا للشرح. ويكشف هذا المسار عن سلطة علمية متميزة للقصيدة؛ إذ أسهمت علوم العربية في حفظ أبياتها وإعادة إنتاجها خارج السياق الأول.

ثالثًا: بردة البوصيري في الإجازة ومجالس العلم

تثبت المصادر أن بردة البوصيري رويت عن ناظمها بالإجازة والسماع. فقد ذكر الأدفوي أن صدر الدين الميدومي أنشده القصيدة إجازة عن البوصيري. كما ورد في كتب التراجم أن بعض العلماء حدثوا بها بسماعهم من ناظمها، أو رووها بواسطة قريبة عنه. ومن ذلك رواية ابن بنت الأعز للبردة بسماعه من البوصيري، ورواية الغماري لها عن أبي حيان عن ناظمها.٢٨وتدل هذه الأخبار على أن القصيدة دخلت مبكرًا في تقاليد الرواية العلمية، ولم يكن انتقالها مقصورًا على الحفظ الشعبي أو الأداء في المجالس. وقد أسهمت الإجازة في تثبيت النسبة وضبط طريق النص، كما منحت قراءته صفة الاتصال بالسند. وهذا يفسر حضور أسانيد القصيدة في بعض مقدمات الشروح والتراجم، وتعامل العلماء معها بوصفها متنًا يمكن تحمله وأداؤه.كما قرئت البردة في مجالس علمية ودينية ذات دلالة مكانية خاصة. فقد أشار حاجي خليفة إلى شرح لبعض المدنيين نشأ بعد قراءة القصيدة على عفيف الدين المطري في الروضة الشريفة سنة ٧٦٠هـ، وأن المقروء عليه علّق عليها حواشي كالشرح. كما ذكر شرحًا جمعه بعض تلامذة جلال الدين الخجندي من إملائه في الحرم النبوي. وتكشف هذه الأخبار عن اجتماع الإقراء بالمكان النبوي، وهو اجتماع يعزز السلطة العلمية والوجدانية للقصيدة في آن واحد.٢٩فالقراءة في الروضة أو الإملاء في الحرم النبوي ليسا مجرد تحديد لمكان الدرس، بل يمنحان التلقي دلالة رمزية تتصل بموضوع القصيدة وممدوحها. ويجتمع في المجلس حينئذ فهم الألفاظ والمعاني مع استحضار المحبة والتبرك، فلا تنفصل الوظيفة التعليمية تمامًا عن الوظيفة التعبدية.

رابعًا: الحفظ والتعليم وتداخل الوظائف

أسهم الحفظ في نقل القصيدتين بين الأجيال، لكنه أدى وظيفة مختلفة بحسب السياق. فقد تحفظ أبيات «بانت سعاد» لأنها شواهد لغوية أو نماذج شعرية، وقد تحفظ القصيدة لما لها من صلة بالسيرة والأدب. أما بردة البوصيري فحفظت بوصفها متنًا في المديح النبوي، واقترن حفظها في بعض البيئات بالإنشاد الجماعي والأوراد والمناسبات الدينية.وتكشف كثرة الشروح المختصرة عن صلة وثيقة بالتعليم؛ فالمختصر يقرب معاني القصيدة ويهيئها للقراءة على الشيخ أو للمراجعة. كما تكشف شروح الإعراب عن استعمال النص في تدريب الطلاب على اللغة والنحو. وفي البردة اتسع المجال ليشمل تعليم السيرة والعقيدة والتصوف من خلال أبواب القصيدة، فصار المتن الشعري مدخلًا إلى علوم ومعارف متباينة.غير أن الفرق الأهم يظهر في موضع النص من العملية التعليمية. فأبيات «بانت سعاد» تعمل بكثرة وحدات منفصلة تستدعى داخل كتب العلوم، بينما تعمل بردة

البوصيري في الأغلب متنًا متصلًا يقرأ ويشرح ويحفظ. ولذلك يمكن وصف الأولى بأنها تحولت بدرجة بارزة من القصيدة إلى الشاهد، بينما تحولت الثانية من القصيدة إلى المتن التعليمي والتعبدي. وهذا وصف للاتجاه الغالب في المادة المتاحة، ولا ينفي وجود المتن في الأولى أو الشاهد المفرد في الثانية.

خامسًا: حدود المقارنة في الاستشهاد

لا تكفي العناية اللغوية في شروح البردة للقول إن أبياتها تحولت إلى شواهد في علوم العربية بالكثافة نفسها التي ثبتت لأبيات «بانت سعاد». فالفرق قائم بين أن يحلل الشارح تركيبًا داخل القصيدة، وأن يستدعي عالم بيتًا منها في كتاب مستقل للاحتجاج بمسألة تقع خارجه. وقد أثبتت الدراسة السابقة حضورًا واسعًا لأبيات كعب في المعاجم والنحو والتفسير والبلاغة، بينما تحتاج أبيات البوصيري إلى حصر مستقل لاستعمالاتها خارج شروح البردة وكتب إعرابها.وهذه الملاحظة تمنع بناء تماثل غير مثبت بين التقليدين. فقد يكون بعض أبيات البوصيري قد استُعمل شاهدًا أو مثالًا في مؤلفات متأخرة، لكن الحكم على مقدار الظاهرة ووظائفها يحتاج إلى تتبع خاص. أما المادة الحالية فتثبت بوضوح أن القصيدة كانت متنًا للشرح والإعراب والتعليم، ولا تثبت بعد أنها أصبحت مخزونًا شاهديًا موزعًا في العلوم على النحو الذي تحقق لـ«بانت سعاد».

المبحث الثالث: من الخبر المؤسس إلى المرجعية العلمية

لم تكن المرجعية التي اكتسبتها القصيدتان صفة ثابتة نشأت مع النص واكتملت في لحظة إنشائه، بل تكونت عبر سلسلة من أعمال الرواية والشرح والتعليم والاستشهاد. فقد منح الخبر المؤسس كل قصيدة صلة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم نقلت المؤسسات العلمية هذه الصلة من مجال الذاكرة والسيرة إلى مجال المعرفة المنظمة. وبذلك أضيفت إلى سلطة الخبر سلطات أخرى نتجت من تثبيت النص وتفسيره وإقرائه واستعماله في العلوم.ويكشف هذا الانتقال أن الخبر والمرجعية العلمية ليسا مرحلتين منفصلتين؛ إذ ظلت أخبار النشأة حاضرة في مقدمات الشروح وكتب الشواهد، كما شاركت الشروح في إعادة صياغة الخبر واختيار بعض رواياته. وفي الوقت نفسه استطاعت أبيات القصيدتين أن تكتسب وظائف لا تتوقف على مناسبة الإنشاد؛ فتحولت أبيات «بانت سعاد» إلى شواهد لغوية ونحوية، وأصبحت بردة البوصيري متنًا للإعراب والبلاغة والسيرة والعقيدة والتصوف.

المطلب الأول: السلطة السيرية وتوثيق النص

تستمد «بانت سعاد» جانبًا أساسيًا من سلطتها من خبر قدوم كعب بن زهير وإسلامه وإنشاده القصيدة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد حفظت كتب السيرة والتراجم هذا الخبر، وأدرجت القصيدة أو طائفة من أبياتها في سياقه، فارتبط توثيق النص بتوثيق مناسبة إنشاده ونسبته إلى صاحبه.٣٠ولم يكن حضور القصيدة في السيرة مجرد وسيلة لحفظ ألفاظها، بل أسهم في تحديد معناها. فقد قرئت أبيات الخوف والرجاء والاعتذار في ضوء موقف كعب، وأصبح انتقاله من التهديد إلى الأمان إطارًا لتفسير القصيدة. كما ارتبط اسم «البردة» بخبر القبول النبوي وخلع البردة على الشاعر في الرواية الشائعة، وإن احتاجت تفاصيل هذا الخبر إلى التمييز بين طبقاتها ودرجات ثبوتها.وطول المدة بين عصر كعب وتدوين عدد من شروح القصيدة جعل توثيق الرواية والنسبة واختلاف الألفاظ جزءًا ظاهرًا من تقليدها العلمي. فقد تعددت أوعية نقلها بين السيرة والديوان وكتب الأدب واللغة والشواهد، وترتب على ذلك اختلاف بعض الأبيات والألفاظ والترتيب والزيادة والنقص. ومن ثم لم يكن الشارح معنيًا بالمعنى وحده، بل كان عليه أحيانًا أن يحدد الرواية التي يشرحها، وأن يبين ما يترتب على اختلاف اللفظ من تغير في الإعراب أو الدلالة.أما بردة البوصيري فقد استقرت نسبتها إلى ناظمها بدرجة أوضح، وساعد قرب العهد به على حفظ طرق متصلة لروايتها. فقد أورد الأدفوي طريقًا إلى القصيدة بواسطة صدر الدين الميدومي عن البوصيري إجازة، كما ذكرت كتب التراجم والوفيات علماء سمعوا البردة من ناظمها أو رووها عمن أخذها عنه.٣١ولا يعني استقرار أصل النسبة خلو نسخ البردة من اختلاف الألفاظ أو ترتيب بعض الأبيات، لكنه يعني أن قضية صحة نسبتها لم تصبح محورًا جدليًا يماثل ما تقتضيه قصيدة أقدم ذات قنوات نقل متعددة. ولهذا اتجه جهد كبير من شراح البردة إلى تفسير النص وتوسيع وظائفه، بدل الانشغال المستمر بإثبات أصل نسبته.وتكشف المقارنة أن السلطة السيرية في «بانت سعاد» مرتبطة بقوة بتوثيق خبر الشاعر والقصيدة معًا، بينما اجتمع في بردة البوصيري استقرار النسبة مع نمو رواية كرامية أحاطت بسبب نظمها ومنزلتها. ففي الأولى كان تثبيت الخبر جزءًا من تثبيت النص، وفي الثانية كان الخبر وسيلة لتفسير القبول والوظيفة، مع وجود سلسلة قريبة لرواية القصيدة نفسها.

المطلب الثاني: السلطة اللغوية والشاهدية

من أبرز ما يميز تلقي «بانت سعاد» تحول عدد من أبياتها إلى شواهد مستقلة في علوم العربية. فقد استعملها علماء اللغة والمعاجم والنحو والصرف والتفسير والبلاغة، واستخرج كل علم منها ما يلائم مسائله. وبهذا لم تعد القصيدة حاضرة بوصفها نصًا كاملًا مرتبطًا بخبر كعب وحده، بل أصبحت أبياتها وحدات معرفية تتحرك بين المصنفات.ولا يكون البيت شاهدًا بمجرد وروده في كتاب؛ وإنما تتكون وظيفته من اختيار العالم له، وتحديد موضع

الدلالة، وربطه بمسألة معينة. وقد ينتقل البيت نفسه من معجم إلى كتاب نحو أو تفسير، وتتغير جهة الاستدلال به، أو يتكرر استعماله في المسألة نفسها حتى يستقر داخل التقليد العلمي. ومن خلال هذه العملية اكتسبت أبيات كعب سلطة لا تعتمد على شهرة القصيدة وحدها، بل على تاريخ الاحتجاج بها.٣٢وتكشف المصادر المبكرة أن هذا التحول بدأ في وقت مبكر؛ فقد ظهرت أبيات من «بانت سعاد» في «العين» للخليل بن أحمد، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«خلق الإنسان» للأصمعي، و«الغريب المصنف» لأبي عبيد، ثم اتسعت دائرة الاستعمال في المصنفات اللاحقة. ويعني ذلك أن السلطة الشاهدية لم تكن نتيجة متأخرة لكثرة الشروح، بل كانت مسارًا موازيًا لرواية خبر القصيدة.ثم جاءت كتب الشواهد والشروح لتعيد وصل البيت المفرد بأصله. فقد بحثت نسبته وروايته وإعرابه، واستحضرت سياقه، وناقشت استعمال العلماء السابقين له. وبهذا نشأ للشاهد تاريخ داخل تاريخ القصيدة: يبدأ بالاقتطاع والاستعمال، ثم ينتقل إلى التداول، وينتهي إلى أن يصبح هو نفسه موضوعًا للشرح.أما بردة البوصيري فقد حظيت بعناية لغوية ونحوية وبلاغية واسعة داخل شروحها وكتب إعرابها. وتوقف الشراح عند ألفاظها وتراكيبها وصورها، وأفرد بعضهم جوانب الإعراب أو البيان بالعناية. غير أن المادة المتاحة لا تثبت تحول أبياتها إلى شواهد موزعة في علوم العربية بالكثافة نفسها التي ثبتت لـ«بانت سعاد.« وهنا يظهر فرق بين سلطة الشاهد وسلطة المتن. فقد تحولت أبيات كعب إلى وحدات مستقلة تعمل خارج القصيدة، بينما بقيت أبيات البوصيري، في القسم الأكبر من المادة المثبتة، أجزاء من متن متتابع يُشرح ويُعرب. ولا يعني ذلك أن العلماء لم يستشهدوا بأبيات البردة، بل يعني أن مقدار الظاهرة وانتشارها خارج شروح النص يحتاجان إلى حصر خاص قبل بناء مساواة بين المسارين.

المطلب الثالث: السلطة الشارحة والتعليمية

تحولت القصيدتان إلى متنين للشرح، وأنتجت كل منهما عددًا كبيرًا من الأعمال التي تناولت اللغة والإعراب والمعنى والصورة والرواية. وقد أسهم الشرح في تثبيت النصين، وحفظ اختلافاتهما، وربطهما بعلوم ومعارف متباينة. لكنه لم يؤد الوظيفة نفسها في التقليدين.٣٣برزت في شروح «بانت سعاد» العناية بالغريب والنحو والصرف والشواهد واختلاف الروايات، مع حضور السيرة والبلاغة والأدب. وقد كشفت المقارنة بين عدد من شروحها أن البيت نفسه يمكن أن يتخذ صورًا متعددة من القراءة؛ فيصبح عند ابن هشام مسألة نحوية وصرفية دقيقة، ويظهر في شرح موجز بوصفه معنى يحتاج إلى تقريب، ويتحول عند السيوطي إلى مدخل لشبكة واسعة من الأخبار والشواهد، ثم يجمع سليمان الجمل أقوال السابقين ويناقشها ويعيد ترتيبها.ويؤكد هذا التنوع أن تاريخ الشرح لا يسير في خط بسيط من الاختصار إلى التوسع، وأن الزمن وحده لا يفسر اختلاف الأعمال. فقد يكون الشرح المبكر أكثر كثافة في النحو من شرح متأخر، وقد يتوسع المتأخر في الأخبار والثقافة بدل التحليل اللغوي. وتظل شخصية الشارح وتخصصه ومصادره وتصوره لوظيفة الشرح عوامل أساسية.أما شروح بردة البوصيري فجمعت بين اللغة والإعراب والبلاغة والسيرة والعقيدة والتصوف، واتخذ التراكم حولها صورة أكثر تشعبًا. فقد ظهرت شروح مطولة ومختصرة، وجُمعت عدة شروح في عمل واحد، ووضعت الحواشي والتقريرات على بعض الشروح، واختصر بعض المؤلفين أعمالهم أو أعمال غيرهم.ويدل هذا التشعب على أن الشرح أصبح مؤسسة متعددة المستويات؛ فلم يعد القارئ ينتقل مباشرة من القصيدة إلى تفسيرها دائمًا، بل قد يقرأها من خلال شرح، ثم يقرأ حاشية على ذلك الشرح أو اختصارًا له. وبذلك أصبحت الأعمال الشارحة نفسها أجزاء من التقليد، وأخذ اللاحقون منها وانتقوا وناقشوا وأعادوا التنظيم.ولا يجوز وصف هذا التراكم بأنه نسخ لأقوال السابقين؛ فالتشابه لا يثبت النقل المباشر ما لم تدعمه إحالة أو مطابقة نصية واضحة. وقد تكون المادة مشتركة لأنها مأخوذة من كتب اللغة والسيرة، أو لأنها استقرت في التعليم. ومع ذلك فإن الجمع والاختصار والترجيح كلها أفعال تشارك في تحديد ما يبقى من المعرفة حول النص وما يتراجع.ودخلت القصيدتان مجال التعليم والإقراء. فقد قُرئت «بانت سعاد» من خلال شروحها، وحُفظت أبياتها واستعملت تطبيقًا لمسائل اللغة والنحو والأدب. أما بردة البوصيري فرويت بالإجازة والسماع، وقرئت على العلماء، وأمليت بعض شروحها في مجالس العلم والروضة والحرم النبوي.ويكشف ذلك أن التعليم نقل النصين من التلقي الفردي إلى تداول منظم متكرر، لكنه أعاد إنتاج كل واحد منهما بطريقة مختلفة. ففي «بانت سعاد» اندمج التعليم بالاستشهاد اللغوي وشرح الشعر القديم، بينما اجتمع في بردة البوصيري شرح المتن بالحفظ والإجازة والمعرفة الدينية. ومن ثم أسهم التعليم في تثبيت القصيدتين، مع اختلاف صورة المرجعية التي صنعها لكل منهما.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في تكوين المرجعية

تشترك القصيدتان في أن الخبر المؤسس منحهما صلة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت الرواية والشرح والتعليم لتوسيع هذه الصلة وتحويلها إلى مرجعية. كما تشتركان في تعدد الشروح وتنوع وظائفها، وفي انتقال النص من الحفظ الفردي إلى الإقراء والتداول المنظم.غير أن المرجعية الناتجة لم تكن واحدة. فقد اعتمدت «بانت سعاد» في مركزها على الحدث السيري، وقدم الرواية، وحضورها في مدونات الشعر واللغة، وتحول أبياتها إلى شواهد علمية. ولذلك يمكن وصف سلطتها بأنها سيرية ولغوية وشاهدية، مع ما أضافه الشرح من حفظ للروايات وإعادة تنظيم للمعاني.

أما بردة البوصيري فاستمدت مرجعيتها العلمية من استقرار نسبتها وروايتها بالإجازة، ومن تحولها إلى متن واسع للشرح والإعراب والتعليم. وقد اتسعت شروحها لتجمع بين علوم اللغة والسيرة والعقيدة والتصوف، ونشأت حولها طبقات من الاختصارات والحواشي والتقريرات. ولذلك تبدو سلطتها شارحة وتعليمية ودينية في مركزها.ولا يعني هذا أن «بانت سعاد» تفتقر إلى السلطة الشارحة، أو أن البردة تفتقر إلى السلطة اللغوية؛ فالوظائف موجودة في التقليدين، لكن ترتيبها ومقدار حضورها مختلفان. والمقارنة الأصح لا تقوم على القول بوجود الظاهرة في أحدهما وانعدامها في الآخر، بل على تحديد الموقع الذي تشغله داخل شبكة التلقي.كما أن المرجعية العلمية لم تلغ أثر الخبر المؤسس؛ فقد ظلت قصة كعب حاضرة في مقدمات الشروح وكتب الشواهد، وظلت قصة البوصيري حاضرة في التعريف بالقصيدة وشرح منزلتها. وفي المقابل لم يبق الخبر وحده قادرًا على تفسير الاستمرار؛ فقد احتاج إلى مؤسسات علمية تحفظ النص وتضبطه وتمنحه وظائف متجددة.وهكذا انتقلت القصيدتان من المناسبة إلى المرجعية بطريقين متداخلين وغير متماثلين. فقد تحولت «بانت سعاد» من قصيدة اعتذار ومديح مرتبطة بخبر إسلام كعب إلى نص سيري ولغوي وشاهدي ومشروح. وتحولت بردة البوصيري من قصيدة مديح أحاطت بها رواية الرؤيا والشفاء إلى متن للشرح والتعليم متعدد المستويات.

الخاتمة

درس هذا البحث مسارات تلقي بردتي كعب بن زهير والبوصيري من الخبر المؤسس إلى تكوّن المرجعية العلمية، متخذًا من الرواية والشرح والتعليم والاستشهاد محاور للمقارنة. ولم يقصد إلى الموازنة الفنية بين القصيدتين، أو حصر جميع الأعمال المصنفة حولهما، وإنما سعى إلى تفسير الكيفية التي انتقلت بها كل قصيدة من مناسبة الإنشاد إلى نص مرجعي تتداوله مؤسسات العلم، وتعيد ضبطه وتفسيره واستعماله.وقد أظهرت الدراسة أن اشتراك القصيدتين في اسم «البردة» ومدح النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتج مسارًا واحدًا من التلقي؛ فقد اختلف الخبر المؤسس، ومرتبة روايته، والأوعية التي نقلته، والوظائف العلمية التي اكتسبها النص. ولم يكن هذا الاختلاف فصلًا مطلقًا بين التقليدين، بل اختلافًا في ترتيب مراكز الثقل داخل شبكة من الوظائف المتداخلة.ويمكن إجمال أبرز النتائج فيما يأتي:

١. ارتبطت القصيدتان بخبر يصل النص بالنبي صلى الله عليه وسلم، لكن الصلة في «بانت سعاد» تقوم على لقاء مباشر داخل خبر سيري يروي قدوم كعب وإسلامه واعتذاره، بينما تقوم في الرواية الشائعة عن البوصيري على رؤيا منامية ارتبطت بالمرض والشفاء. ولا تتساوى الروايتان في مرتبتهما التاريخية أو زمن ظهورهما في المصادر .

٢. ينبغي التمييز بين أصل الخبر وتفاصيله المتأخرة. فقد ثبت خبر قدوم كعب وإنشاده القصيدة في المصادر السيرية، مع اختلاف بعض التفاصيل المتعلقة بمكان الإنشاد وخبر خلع البردة. أما شهادة الأدفوي القريبة من عصر البوصيري فتثبت شهرة القصيدة وقبولها وحفظها والاستشفاء بها، لكنها لا تذكر قصة المرض والرؤيا وإلقاء البردة التي ظهرت بتفاصيل أوسع في مصادر لاحقة .

٣. لا يؤدي تفاوت الأخبار في الثبوت إلى إهمال أثرها في التلقي؛ فقد يصبح الخبر المتأخر شديد الفاعلية في توجيه قراءة النص واستعماله. ومن ثم فصل البحث بين الحكم التاريخي على الرواية ودراسة وظيفتها الثقافية، فلم يجعل شهرة الخبر دليلًا كافيًا على صحته، ولم يجعل تأخره سببًا لإسقاط أثره .

٤. أدى اسم «البردة» وظيفة رمزية مشتركة، لكنه أخفى وراءه تاريخين مختلفين. ففي التقليد الكعبي ارتبط الاسم في الرواية الشائعة بالبردة المادية في سياق اللقاء والقبول، بينما ارتبط في التقليد البوصيري بالبردة المنامية ورواية الشفاء. ولذلك لا يدل الاسم المشترك على وحدة النشأة أو تماثل السلطة .

٥. دخلت «بانت سعاد» مبكرًا في كتب السيرة والتراجم والأدب، فارتبط توثيق القصيدة بتوثيق خبر كعب ونسبتها إليه. وأدى تعدد أوعية نقلها وطول تاريخها إلى ظهور اختلافات في الألفاظ والروايات وترتيب بعض الأبيات، فأصبحت العناية بتاريخ النص جزءًا من تقليد شرحها .

٦. استقرت نسبة البردة إلى البوصيري بدرجة أوضح، وأسهم قرب العهد بناظمها في حفظ طرق لرواياتها عنه بالإجازة والسماع. ولذلك انصرف جهد كبير من المتلقين إلى شرح نص مستقر النسبة وإعادة تنظيم معانيه، مع بقاء اختلاف النسخ والعناوين وبعض الألفاظ مجالًا للفحص .

٧. أنشأت القصيدتان تقليدين شارحين ممتدين، لكن وظيفة الشرح اختلفت باختلاف النص وثقافة الشارح وجمهوره. فقد برزت في شروح «بانت سعاد» العناية بالغريب والرواية والنحو والصرف والشواهد، مع حضور السيرة والبلاغة والأدب. أما شروح بردة البوصيري فجمعت بين اللغة والإعراب والبلاغة والسيرة والعقيدة والتصوف .

٨. لم يكن تراكم الشروح تكرارًا آليًا لأقوال السابقين، بل قام على الانتقاء والجمع والاختصار والتوسيع والمناقشة والترجيح. كما تبين أن التسلسل الزمني لا يفسر وحده اختلاف الشروح؛ فقد يكون شرح مبكر أكثر كثافة في التحليل النحوي من شرح متأخر، بينما يتوسع المتأخر في الأخبار أو المعارف الدينية والأدبية .

٩. اتخذ التراكم حول بردة البوصيري بنية أكثر تشعبًا؛ فقد أصبحت بعض الشروح أصولًا لاختصارات وحواشٍ وتقريرات، وجُمعت عدة شروح في عمل

واحد. أما في «بانت سعاد» فظهر التراكم بدرجة أوضح داخل الشرح الجامع الذي يحفظ الروايات والأقوال والشواهد ويعيد تنظيمها حول النص الأصلي .

١٠. يمثل تحول أبيات «بانت سعاد» إلى شواهد مستقلة في علوم العربية إحدى أبرز خصائص مرجعيتها. فقد استُعملت أبياتها منذ مصادر مبكرة في اللغة والمعاجم والنحو والصرف والتفسير والبلاغة، واكتسب البيت وظيفة جديدة من خلال اختياره وتحديد موضع الاستدلال فيه وتداوله بين المؤلفات .

١١. لم تثبت المادة المتاحة تحول أبيات البوصيري إلى شواهد موزعة في علوم العربية بالكثافة نفسها؛ إذ تبدو العناية اللغوية والنحوية والبلاغية بها أوضح داخل شروح القصيدة وكتب إعرابها. ولذلك ظهر الفرق بين سلطة الشاهد في «بانت سعاد» وسلطة المتن المتتابع في بردة البوصيري، مع بقاء حصر الاستشهاد بأبيات البردة خارج شروحها مجالًا لبحث مستقل .

١٢. أسهم التعليم والإقراء في نقل القصيدتين من التلقي الفردي إلى التداول المؤسسي. فقد دخلت «بانت سعاد» التعليم من خلال شرح متنها وحفظ أبياتها واستعمالها في مسائل اللغة والنحو والأدب. أما بردة البوصيري فرويت بالإجازة والسماع، وقرئت على الشيوخ، وأمليت بعض شروحها في مجالس العلم والروضة والحرم النبوي .

١٣. لم تكن المرجعية العلمية منفصلة عن الخبر المؤسس؛ فقد ظل خبر كعب حاضرًا في مقدمات الشروح وكتب الشواهد، وظلت روايات البوصيري حاضرة في التعريف بالقصيدة وشرح منزلتها. وفي المقابل لم يكن الخبر وحده كافيًا لصناعة المرجعية؛ إذ احتاج إلى مؤسسات تحفظ النص وتشرحه وتقرئه وتمنحه وظائف جديدة .

١٤. تتمثل النتيجة الجامعة في أن سلطة «بانت سعاد» اتخذت طابعًا سيريًا ولغويًا وشاهديًا في مركزها، بينما اتخذت سلطة بردة البوصيري طابعًا شارحًا وتعليميًا ودينيًا. وهذا وصف لمراكز الثقل، لا حدود فاصلة؛ فقد دخلت القصيدتان معًا في السيرة والشرح واللغة والتعليم بدرجات متفاوتة .

وتكشف هذه النتائج أن المرجعية الأدبية والعلمية لا تنشأ من خصائص النص الداخلية وحدها، ولا من خبر القرب النبوي وحده، بل من التفاعل بين النص والرواية والمؤسسات والقراء. فقد حفظت السيرة مناسبة الإنشاد، وأثبتت الإجازة طريق الرواية، وناقشت الشروح الألفاظ والمعاني، وانتقت علوم العربية الشواهد، ونقل التعليم هذه المادة بين الأجيال.

وهكذا انتقلت «بانت سعاد» من قصيدة اعتذار ومديح مرتبطة بإسلام كعب إلى نص سيري ولغوي وشاهدي ومشروح، وانتقلت بردة البوصيري من قصيدة مديح أحاطت بها روايات القبول والشفاء إلى متن واسع للشرح والإجازة والتعليم. وقد التقى التقليدان في الانتقال من الخبر إلى المرجعية، واختلفا في الطريق الذي سلكه هذا الانتقال وفي نوع السلطة العلمية التي غلبت على كل منهما.

أهم المصادر والمراجع:

- ابن العراقي، ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم. الذيل على العبر في خبر من عبر. تحقيق صالح مهدي عباس. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني، ١٩٧٤م.
- ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر. فوات الوفيات. تحقيق إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر، د.ت.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ط٢. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
- ٨٤٣أبو عبيد القاسم بن سلام. الغريب المصنف. تحقيق محمد المختار العبيدي. ط٢. تونس: بيت الحكمة ودار سحنون، ١٩٩٦م.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى. مجاز القرآن. تحقيق محمد فؤاد سزكين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.
- الأدفوي، كمال الدين جعفر بن ثعلب. البدر السافر عن أنس المسافر. تحقيق قاسم السامرائي وطارق طاطمي. ط١. الرباط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- الأصمعي .خلق الإنسان (الكنز اللغوي) .تحقيق أوغست هفنر. القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت.
- البغدادي، عبد القادر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق عبد السلام هارون. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الحاج إبراهيم، عبد الله عمر، ومحمد جار الله الزهراني. «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات».

The Burda Poem And The Research, Writings And Oppositions Surrounding It/

مجلة إعجاز عربي. مج٨، ع٢، يونيو ٢٠٢٥م، ص٧٤١–٧٦٢ https://doi.org/10.18860/ijazarabi.v8i2.32333

- الحاج إبراهيم، عبد الله عمر، ومحمد جار الله الزهراني. «قصيدة البردة: تخميساتها ومعارضاتها وأبحاث المعاصرين حولها».

مجلة إعجاز عربي، مج٩، ع١، يناير ٢٠٢٦م، ص٤٤٠–٤٦٢. https://doi.org/10.18860/ijazarabi.v9i1.36079

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. اعتنى بتصحيحه محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي. إستانبول: وكالة المعارف، ١٩٤١–١٩٤٣م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٩–١٤٣٠هـ.
- السيوطي، جلال الدين. شرح شواهد مغني اللبيب. تعليق محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي. القاهرة: لجنة التراث العربي، ١٩٦٦م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد. تحقيق كمال يوسف الحوت. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الفاكهي، محمد بن إسحاق. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط٢. بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد. مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية. تحقيق بلال محمد حاتم السقا. دمشق: دار التقوى، ١٤٤١هـ.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. المقفى الكبير. تحقيق محمد اليعلاوي. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

هوامش البحث

١انظر في خبر كعب: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ٢/٥٠١–٥١٥. وفي خبر البوصيري: الأدفوي، البدر السافر عن أنس المسافر، تحقيق قاسم السامرائي وطارق طاطمي، ط١، الرباط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ٢/٧٨٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣/٩٣.

٢انظر: الأدفوي، البدر السافر، ٢/٧٨٤؛ عبد الله عمر الحاج إبراهيم ومحمد جار الله الزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، IJAZ ARABI: Journal of Arabic Learning، مج٨، ع٢، يونيو ٢٠٢٥م، ص٧٤١–٧٦٢.

٣من الأعمال السابقة التي أفاد منها البحث: الحاج إبراهيم، والزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، **IJAZ ARABI: Journal of Arabic Learning**، مج٨، ع٢، يونيو ٢٠٢٥م، ص٧٤١–٧٦٢؛ وعبد الله عمر الحاج إبراهيم ومحمد جار الله الزهراني، «قصيدة البردة: تخميساتها ومعارضاتها وأبحاث المعاصرين حولها»، **IJAZ ARABI: Journal of Arabic Learning**، مج٩، ع١، يناير ٢٠٢٦م، ص٤٤٠–٤٦٢.

٤انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٥٠١–٥١٥؛ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني، ١٩٧٤م، ١/٩٩–١٠٥.

٥انظر: الأدفوي، البدر السافر، ٢/٧٨٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣/٩٣؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت: دار صادر، د.ت، ٣/٣٦٨.

٦قارن بين: الأدفوي، البدر السافر، ٢/٧٨٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣/٩٣؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٣/٣٦٨؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٥/٣٥٢.

٧ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٥٠١–٥١٥.

٨انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٥٠١–٥١٥؛ ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/٩٩–١٠٥.

٩الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ١/٣٠٧، الخبر رقم ٦٣٤.

١٠ترد القصيدة وأبياتها في سياق خبر كعب عند ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٠١/٢–٥١٥.

١١انظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ١٥٥/٩؛ السيوطي، شرح شواهد مغني اللبيب، تعليق محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، القاهرة: لجنة التراث العربي، ١٩٦٦م، ٥٢٦/٢.

١٢البغدادي، خزانة الأدب، ١٥٥/٩؛ السيوطي، شرح شواهد مغني اللبيب، ٥٢٦/٢.

١٣انظر نماذج الحضور المبكر لأبيات القصيدة في: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ٢٧٧/١، ٣٥٣/٣، ٣٣٠/٧، ١٦٢/٨، ٢٣٧/٨، ٤١٧/٨؛ أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ، ١٢٢/١، ٢٧٣/١، ٣٦٦/١، ١٦٦/٢؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنف، تحقيق محمد المختار العبيدي، ط٢، تونس: بيت الحكمة ودار سحنون، ١٩٩٦م، ص٧٩٠، ٨٢٣.

١٤الأدفوي، البدر السافر، ٧٨٤/٢.

١٥قارن بين سكوت الأدفوي عن الرؤيا في البدر السافر، ٧٨٤/٢، وبين تفصيلها عند الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩٣/٣، والكتبي، فوات الوفيات، ٣٦٨/٣.

١٦الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩٣/٣؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٣٦٨/٣؛ المقريزي، المقفى الكبير، ٣٥٢/٥.

١٧انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩٣/٣؛ المقريزي، المقفى الكبير، ٣٥٢/٥؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى بتصحيحه محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، إستانبول: وكالة المعارف، ١٩٤١–١٩٤٣م، ١٣٣١/٢.

١٨انظر في بدايات هذا الانتقال: الأدفوي، البدر السافر، ٧٨٤/٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩٣/٣.

١٩انظر في طرق رواية البردة: الأدفوي، البدر السافر، ٧٨٤/٢؛ ابن العراقي، الذيل على العبر في خبر من عبر، تحقيق صالح مهدي عباس، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٦٤/١؛ الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٢٣٧/١؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٩–١٤٣٠هـ، ١٨٣/١.

٢٠انظر الحصر والنماذج في: الحاج إبراهيم والزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، ص٧٤١–٧٦٢.

٢١انظر في شروح «بانت سعاد» ووظائفها: الحاج إبراهيم والزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، ص٧٤١–٧٦٢.

٢٢انظر عرض هذه الشروح وتسلسلها في: الحاج إبراهيم والزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، ص٧٤١–٧٦٢.

٢٣حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٣١/٢.

٢٤حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٣١/٢.

٢٥القسطلاني، مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية، تحقيق بلال محمد حاتم السقا، دمشق: دار التقوى، ١٤٤١هـ.

٢٦انظر نماذج التراكم في شروح «بانت سعاد» عند: الحاج إبراهيم والزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، ص٧٤١–٧٦٢.

٢٧حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٣١/٢؛ القسطلاني، مشارق الأنوار المضية.

٢٨الأدفوي، البدر السافر، ٧٨٤/٢؛ ابن العراقي، الذيل على العبر، ٦٤/١؛ الفاسي، ذيل التقييد، ٢٣٧/١؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ١٨٣/١.

٢٩حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٣١/٢، وفيه أن بعض تلامذة جلال الدين الخجندي جمعوا شرحًا مختصرًا من إملائه في الحرم النبوي.

٣٠ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٠١/٢–٥١٥.

٣١الأدفوي، البدر السافر، ٧٨٤/٢؛ ابن العراقي، الذيل على العبر، ٦٤/١؛ الفاسي، ذيل التقييد، ٢٣٧/١؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ١٨٣/١.

٣٢انظر: الخليل، العين، ٢٧٧/١، ٣٥٣/٣، ٣٣٠/٧، ٤١٧/٨؛ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١٢٢/١، ٢٧٣/١، ٣٦٦/١، ١٦٦/٢؛ أبو عبيد، الغريب المصنف، ص٧٩٠، ٨٢٣، الأصمعي .خلق الإنسان ص ١٨٩.

٣٣انظر: الحاج إبراهيم والزهراني، «قصيدة البردة وما دار حولها من الشروح والتأليفات»، ص٧٤١–٧٦٢؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٣١/٢.